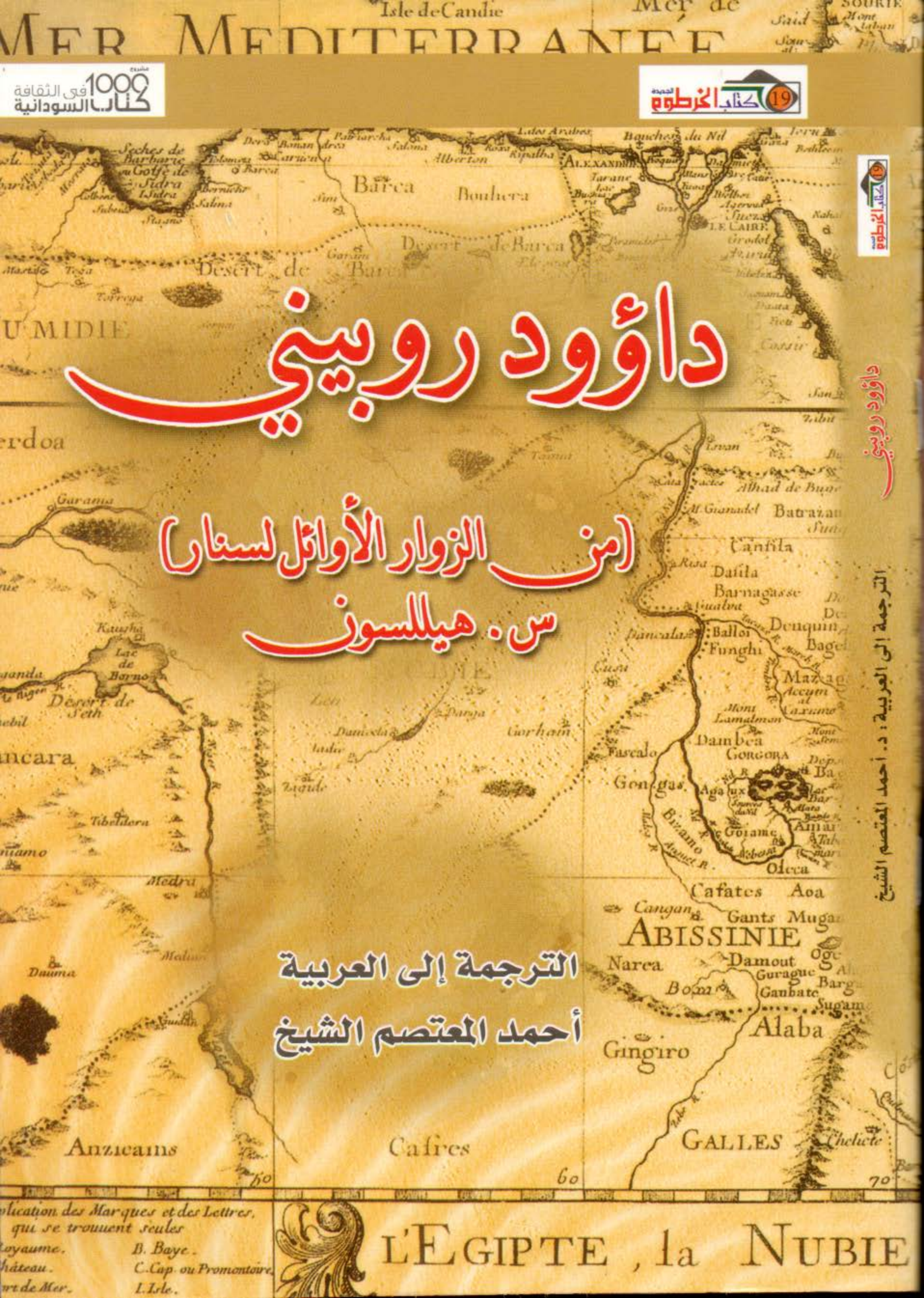


مشروع
1000 كتاب في الثقافة السودانية
19 كتاب الخرطوم الجديدة
داؤود روبيني
(من الزوار الأوائل لسنار)
س. هيللسون
الترجمة إلى العربية
أحمد المعتصم الشيخ
داؤود روبيني
الترجمة إلى العربية: د. أحمد المعتصم الشيخ
MER MEDITERRANEE
ABISSINIE
L'EGIPTE , la NUBIE



كتاب الخرطوم الجديدة 19
ROYAUME
Arabie Deserte
PARTIE
ARABIE
Tropique de Cancer
Arabie Heureuse
Royaume du Grand Iman
Mer d'el Catif ou Golfe de Bassora
MER D'ARABIE
Isle Zocotora
Cap Guadarfu
la NUBIE
l'ABISSINIE
plusieurs places
les peuples Sonnars, le Desert de Zeu.
Nubia. Dancala Ialac, Cusa, Gorham.
Barnagasse. Dafila. Canfila. les Balloi. les Funghi.
le Nil. le Maleg. le Tecaze le Mareb. le Tember l'Aoaxe. le Zebe.
plusieurs Riuieres
le Lac ---- Bar-Dam
Les Montagnes
Sacahala Lamalm Semen.
la Coste d'Abex
Arquico. Doncale. Suaquem
les Isles
Mazzan. Dalaca. Zeiban.
Printech
هيئة الخرطوم للثقافة والنشر
السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)
Email.khartoumbook@gmail.com
et L' ABISSINIE
Chez l'Auteur, en l'Isle du Palai
Sur le Quay de l'Orloge,



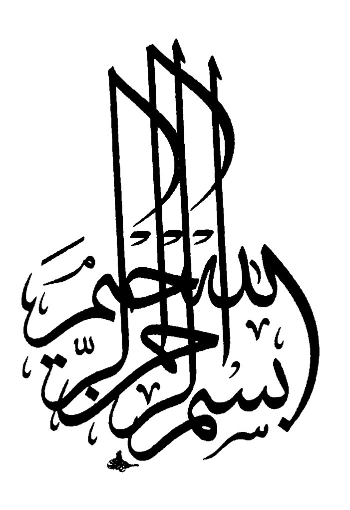
داؤود روبيني

(من الزوار الأوائل لسنار)

س. هيللسون

السودان في رسائل ومدونات

العدد ١٥ — ١٩٣٣


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

دفعاً لحركة الفكر والثقافة،

ورعاية للقيم السودانية،

واهتماماً بترسيخ المبادئ الوطنية،

تصدر هذه السلسلة

عن دار

هيئة الخرطوم للثقافة والنشر

ووزارة الثقافة والإعلام والسياحة

ولاية الخرطوم

داؤود روبيني

(من الزوار الأوائل لسنار)

س. هيللسون

الترجمة إلى العربية

د. أحمد المعتصم الشيخ

يناير ٢٠١٨م



يصدر عن هيئة الخرطوم للثقافة والنشر

المدير العام

ورئيس هيئة التحرير

عبد الماجد السر عثمان

مدير إدارة النشر الصحفي

أماني أبو الريش

المدير الفني

معتز الطيب حبيب الله

التصميم

أسماء يس الدرويش

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

962.4 هيللسون ،س

هـ. د

داؤود روبيني من الزوار الأوائل لسنار / س.هيللسون ؛ ترجمة أحمد المعتصم الشيخ
– الخرطوم: أ. م. الشيخ، 2018.

70 ص. ايض؛ 24سم

ردمك: 978-99942-1-529-4

- السودان – تاريخ –مملكة الفونج.
- أحمد المعتصم الشيخ (مترجم)، 1947.
- العنوان.

الناشر: هيئة الخرطوم للثقافة والنشر

السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)

Email.khartoumbook@gmail.com

مقدمة الناشر

يأتي مشروع طباعة (المائة كتاب) الذي أطلقته هيئة الخرطوم للثقافة و النشر من ضمن الأهداف الثقافية الكبرى التي تضطلع بها ولاية الخرطوم بإعتبارها الولاية القومية الممثلة لوسطية السودان الجغرافية و الإجتماعية و الثقافية إلى جانب مكانتها السياسية و الإدارية التي حازتها منذ أنْ صارت عاصمة للبلاد في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

هدفت الهيئة بإطلاق هذا المشروع الثقافي الرائد إلى إبراز دور الولاية في خدمة قضية الثقافة بسد جزء من الفراغ الذي تعاني منه المكتبة السودانية، عن طريق رفدها بعناوين جديدة من الكتب واعادة طباعة أمهات المؤلفات السودانية لإنعاش الذاكرة الثقافية الوطنية فضلاً عن رعاية وتشجيع المبدعين الشباب على نشر أعمالهم الثقافية المتميزة.

ولكي تطمئن الهيئة على جودة وجدوى ما تطبع من الكتب، فقد أوكلت مهمة اختيارها وقبولها وتقييمها لفريق استشاري مقتدر من المختصين في مجالات التأليف و الطباعة و النشر، وهو الفريق الذي أطلقت عليه الهيئة اسم (اللجنة الاستشارية للنشر)، وقد استطاع هذا الفريق المؤهل أنْ ينجز في وقت قياسي اختيار وتقييم وإجازة نشر المائة الأولى من الكتب التي تمت طباعتها جميعاً في العام ٢٠١٦م.

أمّا في العام ٢٠١٧م فقد فرغ الفريق الاستشاري من تجهيز المائة الثانية من الكتب توطئة لنشرها جميعاً خلال العام ٢٠١٨م.

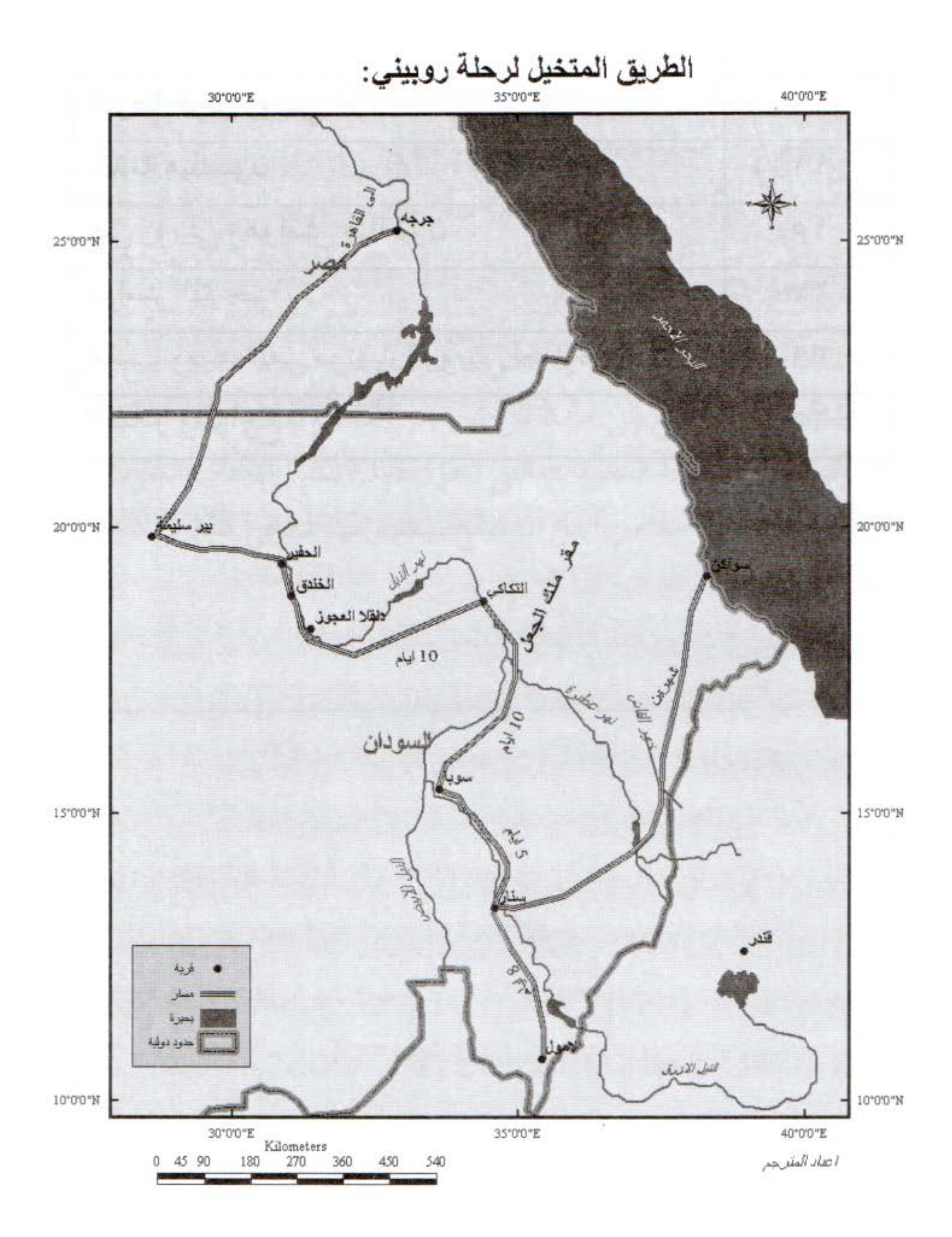
إنَّ هيئة الخرطوم للثقافة و النشر إذ تتصدى لهذا المشروع الثقافي القومي الرائد، تتشرف بأنْ تكون هي المؤسسة الوطنية الأولى - منذ استقلال السودان- التي تتمكن من نشر هذا الكم المقدر من الكتب، يضاف إلى ذلك أنَّها أول جهة تتولى تقديم خدمات تشجيعية متميزة للمؤلفين.

.. وهكذا فإن الكتاب السوداني الذيَ ظل يعاني من عيوب الشروط المجحفة للناشرين إلى جانب ضعف الامكانيات الفنية والتحريرية والطباعية، قد وجد في الهيئة حاضنةً رؤوم تمكنه من الانتشار ومنافسة المطبوعات العربية والأجنبية.

وهيئة الخرطوم للثقافة والنشر إذ تتشرف بوضع هذا الجهد الثقافي بين يدي القارئ الكريم ، تتطلع إلى مزيدٍ من تجويد الأداء، وتسعى بكل إمكاناتها وخبراتها إلى إزالة كافة المعوقات التي تحول دون انتشار الكتاب السوداني، كما أنَّها لن تدخر وسعاً من أجل أنْ تدفع بمشروعها الثقافي هذا إلى أرحب الآفاق.

المحتويات

الطريق المتخيل لرحلة روبيني:



أنا مدين للبروفيسور بول بورشاردت من ميونخ للفته نظري إلى وثيقة، تحوي وقائع غير منظورة لزيارة مبكرة لمملكة الفونج في سنار ضمن رحلات المغامر اليهودي ديفيد روبيني الذي حل ضيفاً على الملك عمارة في العام ١٥٢٣م.

وديفيد روبيني يهودي شرقي وصل إلى إيطاليا في العام ١٥٢٤م، وأثار لغطاً، ليس فقط وسط شركائه في العقيدة، بل وجد أذناً صاغية من البابا كلمنت السابع وكذلك في بلاط البرتغال.

وقد قدم إفادته لهؤلاء بأنه أخ للملك جوزيف الذي يحكم جماعة مستقلة مولعة بالحرب، من اليهود موجودون في مكان ما من الجزيرة العربية. وأنه تم تكليفه بمهمة جذب إهتمام واستقطاب القوى المسيحية للنظر في الدخول في عمل مشترك ضد المسلمين (الكفرة). وكان هذا زمان نشاط البرتغاليين في البحر الأحمر وأثيوبيا الذي تزامن مع توسع الأتراك العثمانيين الذين أخضعوا مصر منذ وقت قريب. ويبدو أنه على كل حال أُخذت ادعاءات ديفيد بجدية حيث ظهر في بلاط الملك جون الثالث ملك البرتغال في العام ١٥٢٥م وقد سُمِع عنه في وقت لاحق أنه في البندقية ومرة في بولونيا وأخرى في راتسبون، حيث قدم للإمبراطور شارلس الخامس اقتراحاً بتكوين حلف ضد الأتراك. وفي هذه الأثناء شكل اتحاداً مع شخص معين يدعى سلومون ملوكو أجبر على اعتناق المسيحية ثم ارتد لليهودية. وكانت له أحلام وهرطقات.

وقد لفت كل من ديفيد روبيني ومولوكو انتباه محاكم التفتيش، وقد حكم على ملوكو بالموت حرقاً في العام ١٥٣٢م، وكان نصيب ديفيد

روبيني السجن في أسبانيا الذي مات فيه في وقت ما من العام ١٥٣٥م.

نجد الإشارة إلى نشاطات روبيني عند الكُتّاب اليهود المعاصرين وفي المصادر البرتغالية. ولكن الوثيقة الأكثر جذباً للاهتمام عن حياته ونشاطه نجدها في المجلد الذي يحوي قصته كما يحكيها هو نفسه عن جولاته ورحلاته. وقد تم حفظها في مخطوط فريد كان يوجد في مكتبة البودليان ولكنها اختفت منها في وقت ما بعد العام ١٨٦٧م. وقد تم تحريرها من نسخ مأخوذة للوثيقة الأصلية. ويؤكد المحرر المُطلع على طبعة أكسفورد، جازماً بأن الأسلوب العبري في يوميات ديفيد ينم عن يهودي ألماني ويضيف أن ديفيد قد يكون كذلك بالرغم من أنه من مواطني مصر ويتحدث العربية كلغة أم.

وبالنسبة لي (أنا) فإن التركيب السائب والأسلوب غير المنضبط لليوميات يشي بأن المخطوطة في الأصل هي تسجيل كتابي حرفي لرواية شفاهية -من المحتمل أن تكون- أمليت بلغة أخرى وتم تسجيلها باللغة العبرية بواسطة يهودي ألماني. ومن الأهمية ملاحظة طريقة كتابة الأسماء العربية التي تشير ليهودي ألماني أكثر من أن تكون لشخص متمكن من اللغة العربية.

وبغض النظر عن أي انطباع يمكن اتخاذه عن شخصية ديفيد وعن صدقيته بالنسبة إلى مهمته السياسية، فإن القيمة والأهمية لإشاراته لسنار والنوبة لا يمكن الشك في أنها تستند على تجربة حقيقية واحتكاك مباشر. وحيثما وردت تفاصيل أخرى يمكن التعرف عليها ومراجعتها، فإنها تكون صحيحة بصورة مدهشة. وإذا علمنا بأن هذه المعلومات لم تكن متاحة ولا يمكن أخذها من الكتابات المتداولة حينها، لذلك يمكننا أن نعتبر حقيقة أن هذا الرحالة المغامر قد زار فعلاً هذه الأماكن التي ذكرها. ومما يمكن إضافته

لمصداقيته هو ملاءمة تخفيه وتنكره كشريف من مكة الأمر الذي يضفي عليه التوقير والحماية والتقدير في مملكة سنار حديثة العهد بالإسلام.

وفي الترجمة أدناه للفصول الأولى ليوميات ديفيد تم إختصار بعض الفقرات المطولة وتلخيصها، إلا أن الفقرات ذات الأهمية التاريخية أو الجغرافية تم إيرادها بتمامها. وقد تم الرجوع إلى كل من النص العبري وترجمة بابيرفلد النص للألمانية.

«النَصْ»*

«أنا داؤود[١] بن الملك سليمان (تباركت ذكراه) وشقيق الملك يوسف، الأكبر مني سناً والذي مملكته في صحراء (خَابُور)، وتحت حكمه ثلاثمائة ألف من شعوب قاد وروبين .. «والقبيلة النصف» من المناصيح.

وقد أمرني أخي الملك ومستشاريه السبعين من الشيوخ أن أتوجه (أولاً) إلى روما للمثول في حضرة البابا (تَسَامى مَجدُه).

وعند ذلك غادرتهم وسافرت في صحراء خَابُور عن طريق حَرَّة مسافة عشرة أيام حتى وصلت جدة وكنت في غاية المرض .. وأثناء مرضي وأنا مازلت ملازماً للسرير وصل إلى مسمعي أن هنالك سفينة ستبحر إلى أرض (كُوشْ)* [٢]، وعندها طلبت (حضور) ربان المركب، وركبت السفينة معهم بالرغم من أنني ما زلتُ مريضاً. وسافرنا في البحر الأحمر لمدة ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ. وفي اليوم الرابع وصلنا مدينة سواكن[٣] في أرض كُوشْ. وفيها استأجرت لنفسي نُزلاً. حيث بقيت فيها لمدة شهرين. وكان برفقتي خادمي وهو رجل عجوز وفوق ذلك أصم وأبكم. وكان يشرف على احتياجاتي ومسئولاً عن حوائجي وأغراضي، ويطبخ لي طعامي.

وفي هذا الأثناء سمعت أن هنالك عدداً كبيراً من التجار ينوون السفر إلى (أشا[٤]* في أرض كُوش مملكة (شِيبا)، وكان زعيم هؤلاء رجلٌ اسمه عمر أبو كامل[٥] "من سلالة بنَي إسماعيل". الذي قمت باستدعائه وحصلت على بَعيرين من أجل السفر معهم.

وعند ذلك غادرت سواكن برفقة أبو كامل وقافلة تتكون من أكثر من ثلاثة آلاف جمل تخص هؤلاء التجار[٦]. وكان سفرنا عبر صَحاري واسعة، وخلال غابات فيها نباتات جيّدة وأشجار متنوعة ومراعي ممتازة. وفي رحلة استغرقت شهرين عبرنا فيها أنهاراً وجبالاً وصلنا إلى بداية مملكة كُوشْ[٧] وكنت أصوم في كل يوم أثناء هذه الرحلة.

النجمة تشير لهوامش هيللسون

* بلاد كوش كان ديفيد في مرات عديدة يستعمل أسماء توراتية مثل كوش، أثيوبيا، شيبا.

* أشا أو أسا لايمكن التعرف عليها – اقترح مايرفيلد – مصوع – وهي غير معقولة

الملك يقيم على ضفة نهر النيل، واسمه عمارة ** وهو أسود اللون[٨]، وحكمه يجري على شعوب سوداء وبيضاء[٩]. وهذا النهر الذي يقوم عليه حكمه هو نيل مصر ومملكته هي مملكة شيبا[١٠].

ولقد مكثت لمدة عشرة أشهر في مدينة الملك التي تقع على رأس[١١] نهر النيل، واسم هذه المدينة لامئول*٣. وفي هذه الفترة التي قضيتها مع الملك تجولت في جميع مملكته. وفي كل الوقت الذي مكثت فيه في أرض كُوش مع الملك كنت مواظباً على الصيام في الحل والترحال، وعلى الصلاة أثناء الليل والنهار خوفاً من التعرض للتحقير أو الازدراء. واعتدت الذهاب مباشرة إلى منزلتي التي تُقام لي دائماً بالقرب من مقر الملك. وكان الملك يقوم بالطواف حول مملكته شهراً بعد شهر ومن محطة إلى محطة وكنت أسافر في معيته.

وكان يتبعني أكثر من ستين رجلاً على صهوات جيادهم وكانوا يُعاملونني بغاية التوقير، وهم من سلالة نبيهم، وزعيمهم يدعى أبو كامل. وفي أثناء إقامتي كان أبو كامل يحيطني بعنايته ويقوم برعاية شئوني[١٢] وكنت معتاداً على الصيام كل يوم طوال المدة التي بقيت فيها مع الملك في أرض كُوش.

ولهذا الملك (حاشية) تتكون من عدد لا يحصى من الموظفين والخُدام ومن بين هؤلاء هناك مقدمين (وضباط) للحرب. وهناك حكام مدن المملكة وهناك ضباط موظفين موكلون بشئون القانون (قانونهم). وكان الحكم الغالب بالقتل لأي من كان قد ارتكب جريمة مهما كانت كبيرة أو صغيرة. وكانوا في كل يوم يقيمون منصات للعدالة[١٣].

* استناداً على ما جاء في الترتيب التاريخي في مخطوطة تاريخ سنار – كما نقل منها ماكمايكل في كتابه تاريخ العرب في السودان، مجلد ٢، ص٣٥٨ هامش فإن «عمارة دونقس» (يكتب أيضاً، دونكاس مؤسس أسرة الفونج حكم في الفترة من ٩١٠ إلى ٩٤٠ هـ والتي توافق ١٥٠٤ – ١٥٣٣ وزيارة ديفيد مؤرخه في ١٥٢٣.

** هناك إغراء أن يتعرف الشخص في لامئول أو لمول بلول أو لولو. المكان الذي ذكر عدة مرات على أنه مركز (موطن) الفونج الأصلي. (أنظر نادلر: أصل الفونج) في مرتين ذكر الاسم بلفظ لاوئل وطبقاً لديفيد فإن لامئول تقع على النيل الأزرق مسافة ثمانية أيام جنوب سنار.

وللملك الكثير من الجياد يمتطيها الفرسان والعديد من الإبل الممتازة وعدد لا يحصى من الماشية من بقر وضأن بالإضافة إلى التبر (تراب الذهب)(١٤)

وهناك فرقة خاصة من الموظفين يتقدمون الملك في السفر، ومهمتهم هي إنشاء مساكن وبيوت من الخشب٤ * للملك وحاشيته من ضباط وخدم. وكلما حللنا أو توقفنا للراحة نجد كل شيء معداً ومُرتباً من الألف للياء. وعند مغادرة المكان يقومون بحرق كل ما أنشاؤه من مبانٍ وبيوت. (١٥) وفي هذه البلاد هناك أماكن عامرة بالنباتات والغابات والجبال. وهذا الملك لديه عبيد من الجنسين ذكوراً وإناثاً، وغالبيتهم عراة.

وفي البلاط كانت الملكة والمحظيات ونساء البلاط والإماء يتحلين في الأذرع والمرافق بأسورة من الذهب وكذلك حُجولاً في الأرجل ويغطين عُريهن بسلاسل مجدولة من الذهب بعرض ياردة تطوّق الخصر(١٦). وتشبك من الأمام والخلف. ويكون باقي الجسم عارياً، وكل النساء يلبسن زماماً من الذهب في الأنف. وهم يرافقون الملك في ترحُلُه، وعندما تمطر السماء يجلسون عرايا معرضين للمطر، الناس وحيواناتهم، وينامون على الأرض، ولأنه ليس لديهم مأوى فكل واحدٍ منهم رجلاً كان أو امرأة يشعل ناراً لتدفئته. (وهم) يأكلون لحوم الأفيال والذئاب والنمور، والكلاب والجمال والفئران، الضفادع والثعابين، وحتى لَحَم البشر(١٧)

واعتاد الملك أن يَطلُبني يومياً. وكان يقول لي "ما الذي ترغب فيه يا مولاي، سليل نبينا. إذا كنت ترغب في أن أعطيك عبيداً أو جياداً أو جمالاً فلك ذلك". وكنت دائماً ما أرد عليه "بأنني" لا أطلب منك شيئاً، ولكنني قد سمعت بروعة وعظمة مملكتك وقد جئتك بهذا الرداء من الحرير وسبعمائة دوكات هدية، تعبيراً عن محبتي وشعوري،. ولا أطلب منك شيئاً في المقابل. فأنا أحبك وأمنحك بركتي وبركة أجدادي وبركة النبي محمد، وأعطيك الغفران من الذنوب، وأمنحكِ القوة وبيتاً في الجنة لك ولذريتك وكل أهل بيتك وفي سنة قادمة سوف تأتي لنا في مكة حيث تُغْفَر الذنوب".

---

* بيوت خشبية من غير شك المقصود (أكواخ القش) القطاطي.

ثم بعد ذلك أرسل الملك لي "في مكان إقامتي" بأربعة فتيات عذراوات من الرقيق وأربعة من العبيد وكانوا كلهم عُراة. وأخبرني المرسال الذي أتى بهم "أن سيدنا الملك يقريك ألف سلام، ويقدم لك هؤلاء العبيد والإماء بمثابة هدية من مولانا الملك" ثم غادرني وتركهم يقفون أمامي وهم عُراة – وقمت بإعطائهم ثياباً لتغطية عُريهم.

وفي هذه الليلة وقف (قَريني الخبيث) إلى يميني ليغريني بإحدى الإماء الحسناوات، وقد كنت فعلاً أحضرتها إلى سريري، ولكن ملاكي الطيب وقف إلى جانبي، وتغلب بقوله لي: "تذكر من أين جئت وإلى أين ستذهب، وما هذا الفعل الذي توشك أن ترتكبه فإن الرب القَادِر يسوؤه مثل هذا الفعل الذميم، تَذَكْر خالِقك وهو سوف يُذكرك، ولكنك إذا ارتكبت هذه الخطيئة الليلة فإن الله سيسلط عليك الأعداء الذين سوف يُحطُون من قَدَرك، وسوف تَفشل في إنجاز مهمتك المُقدسة". وليتبارك الرب الذي أنجاني من ارتكاب هذه الخطيئة. ثم قمت فصليت وبكيت وتوجهت إلى الرب وأنا على أريكتي. ولم أنم حتى الصباح.

وفي الصباح أخذت كل هؤلاء الرقيق وتوجهت بهم إلى زوجة الملك قائلاً لها "إن الملك قد أعطاني هذا الرقيق وأني بدوري أقدمهم إليك كهدية وتعبير خالص عن شعوري، وليس لأنني أرغب في مقابل وإنما أمنحك أيضاً الغفران من الذنوب ومكاناً عالياً في الجنة".

وعندما سمع الملك بما فعلته، استدعاني إليه. وسألني "لماذا لم أقبل عطيته؟" وقد أجبته قائلاً: بأنني يا مولاي قد قبلت منك الهدية ولكني قدمتها للملكة تعبيراً عن احتفائي وتقديري". وهنا أبدى الملك إكباره لي كما كان يفعل مع الأشراف آل بيت النبي الذين يقيمون في أرض كوش[١٨]. ومن بينهم زعيمهم أبو كامل. والذي كان يقدره ويكبره بسبب صداقته لي وكذلك كان يعامل جميع أتباعه.

وكان الملك وجميع حاشيته يحبونني ويحترمونني وينظرون إليَّ وكأنني

مَلَك من ملائكة الله، وتتملكهم الرهبة مني، لأنني كنت أصوم وأصلي طوال النهار، وأقيم الليل في الصلاة. وكنت أتحاشى الكلام أمامهم. وعندما كانوا يخاطبونني كنت أرد باقتضاب. وقد أعطى الملك أوامره إلى كبار موظفيه بأن يكونوا (برفقتي) عندما أركب حصاني قاصداً إلى أي جهة.

(بعد أن قضى عشرة أشهر مع عمارة، بات داؤود متعجلاً للمغادرة. وقد حَتَم ذلك وصول شريف مكي ثالث والذي اقترح في البداية الدخول في شراكة مع أبو كامل وداؤود من أجل استغلال ثقة الملك فيهم وسذاجته وغفلته، ومن ثم تقاسم ما يحصلون عليه من عطايا بينهم.

وقد ادعى هذا الشريف بأنه جلب معه كتاباً أحضره من بيت النبي، ومن المفترض أن له قيمة دينية عظيمة وهو بصدد تقديمه هدية للملك، وأن كل من داؤود وأبو كامل قاما بإثبات مصداقية الكتاب والشريف الذي يحمله. ولكن الأخير وبالرغم من ذلك ولأسباب لم تُوضَح لنا .. قام باتهام داؤود بأنه محتال ويهودي. ويبدو أن الملك قد قبل إنكار داؤود، وقد وجد داؤود أيضاً دفاعاً وحماية من الملكة(١٩).

وبالرغم من ذلك فإن داؤود صمم وعَزم على مغادرة البلاط بأعجل ما يُمكن، وحصل من الملك على حصانين، واتبعه مُرسَال(٢٠) ليوصله إلى أوبَادِيه * الموظف المسئول عن خزانة المملكة(٢١). مع تعليمات الملك للأخير بأن يُوصِله إلى أبو كامل، الذي من المفترض الآن أن يكون في سوبة بالرغم من أنه لم يتم إخبارنا بأنه غادر البلاط، "وهناك بعض الاضطراب في هذا الجزء من السرد، قد يعود أما إلى عدم دقة النقل الصحيح للنص أو بسبب عدم مهارة داؤود في سرد قصته".

---

* والاسم العبري أوباديه من الواضح أنه خارج السياق، «وقد يكون من قبيل التخيُّل أن نرى فيه تحريفاً لاسم عبد الله جماع كبير حكام الأقاليم ووزير عمارة دونقاس»

ويواصل داؤود روبيني سرده فيما يلي:

« في الصباح غادرت لامئول * * وبرفقتي خادمي العجوز ومرسال الملك تاركين وراءنا محل إقامة الملك عند منابع النيل[٢٢]. وقمنا بعبور العديد من الأنهار وشاهدنا مراتع للأفيال وأعداد وافرة منها[٢٣]. وقابلنا أيضاً نهراً من الطين حيث غرقت الجياد في الوحل حتى بطونها – وقد فقد الكثير من الخيول والناس أرواحهم بهذه الطريقة– ولكننا بعون الله تمكنا من عبور هذا النهر على ظهور جيادنا ونحمده ونشكره إذ حفظنا ونجانا (آمين). ثم استأنفنا سيرنا وسافرنا لمدة ثمانية أيام حتى وصلنا إلى سنار * محل إقامة أوباديه. وقد نقل إليه مُرسال الملك الذي صِحبنا تعليمات الملك.

وقام أوباديه باستدعائي وخاطبني قائلاً: "ما الذي يرغب فيه سيدي، فإنني سوف أقوم بتوفير كل ما تأمر به وتطلبه بدافع المحبة وبنية خالصة "وقد كان ردي عليه "أن الشيء الوحيد الذي أطلبه هي أن تشتري لي ثلاثة جمال جيّدة على نفقتي وقِربتين من جلد البقر لحمل الماء على الجمال".

وبعد ذلك خصص لي مُرسالاً أخر ليصطحبني إلى أبو كامل، وفي الصباح انطلقت برفقة عبدي والمُرسال، وسافرنا لمدة خمسة أيام بحذاء ضفة النيل الأزرق حتى وصلنا إلى مدينة سوبة، وكانت عبارة عن خرائب. وهناك كانت لهم مساكن من خشب[٢٤].

وعندما قابلني أبو كامل سألني: "كيف جئت من الملك بدون أن تحصل على عطية من العبيد؟ وأضاف "أنا أعلم أن الملك يحبك ويقدرك والآن وقد حضرت إلى هنا

يقول اركل:

* ورؤيتي واعتقادي الخاص حتى الآن .. فإن لامئول من المحتمل أن تكون في مكان ما على النيل الأزرق في مسافة خمسين ميلاً جنوب سنجة وسنار التي تقع على الضفة الغربية للنيل الأزرق فإن الاحتمال (وارد) بأن يكون ديفيد سافر إليها عن طريق الضفة الغربية. وهناك في هذه الضفة العديد من الخيران والتي تبدو كالأنهار في فصل الخريف (الأمطار). وخاصة ذلك الخور الكبير الذي يعزل سنجة ويجعلها مثل الجزيرة ويصب في النيل بالقرب من عنيكليبة بين سنار وسنجة.

* المسافة من سنار إلى سوبة حوالي ١٦٥ ميلاً –وقطعها في خمسة أيام أسرع من المفترض بالنسبة لأركل في مذكرته السابقة، ولكن الطريق يقع في أرض مفتوحة وبدون عوائق تذكر

بدون أن تنال شيئاً من الملك، فإنك ستبقى في بيتي وسوف أذهب أنا للملك لأطلب منه هدية بالنيابة عنك". وقد وافقته على ذلك.

"وفي هذه الليلة رأى داؤود في الحلم رؤيا لوالده يأمره فيها بمغادرة المكان في الحال لأنه سيموت إذا انتظر عودة أبو كامل. ولذلك حصل على موافقة أبو كامل لمغادرته فوراً».

في الصباح بَدأتُ الرحلة من سوبة – محل أبو كامل، الذي أرسل معي شقيقه ليرافقني. (ومنها) سافرت مسافة عشرة أيام(٢٥) إلى مملكة الجَعَل(٢٦)٧ *، التي تتبع لمملكة سوبة وهي تحت حكم عَمارة.

واسم ملك الجعل هو أبو عَقْرَب[٢٧] . وقد قدمني له شقيق أبو كامل ووصفني "بمولانا من آل بيت النبي" وأخبره بأوامر الملك بتوصيلي وتوفير كل ما يلزمني لمواصلة طريقي. ومكثت مع هذا الملك ثلاثة أيام وبعد ذلك واصلت سفري مع خادمي العجوز حتى وصلت إلى جبل التَكَكي * *[٢٨] **حيث قابلت هناك زعيماً كبيراً يدعى عبد الوهاب[٢٩]. وقد أشار على هذا الرجل بأن أسافر بالطريق الصحراوي القصير حتى مدينة دُنقلا*. ولذلك بقيت معه في منزله لمدة ستة أيام. وفي اليوم السادس وصل إلى هذا المكان مراسيل من الملك عَمارة ونادى أحدهم على عبد الوهاب من ضفة النهر، وهو نهر النيل الذي كنا نقف في مكان آخر منه. وقال لعبد الوهاب "أخبر سيدنا أن لا يغادر، لأن الملك ندم على الإثم الذي فعله به، ويطلب منه المغفرة والعفو" وأضاف بأن "الملك قد أرسل إليه هدية عبيداً وجمالاً، وبذلك أطلب منه أن ينتظر وصول مراسيل الملك الذين معهم الهدايا". وجاءني عبد الوهاب وقال لي "لدي أخبار طيبة لك، فإن الملك قد أرسل خلفك بهدية كبيرة".**

---

* مملكة الجعل:– هذه قد تكون أقدم إشارة إلى قبيلة الجعليين المعروفة ودارهم التقليدية تمتد من شلال السبلوقة حتى نهر اتبرا.

** التككي: لا يمكن التعرف عليها، وفي الجزء الشمالي لبلاد الجعليين هناك العديد من الطرق الصحراوية إلى مديرية دنقلا مثلاً – من العالياب إلى مروي.

وعند سماعي لكلامه قلت له "أرجو أن تعمل معي معروفاً كبيراً بأن تنطلق معي في الطريق هذه الليلة نفسها" وأعطيته عشرين دوكاتاً وثياباً قائلاً "اجعل هذا تذكاراً بيننا".
وفي الحال ملأ عبد الوهاب ستة قرب بالماء وحمّلها على ثلاثة جمال. وسافرت مع عبد الوهاب برفقة خادمي العجوز وعبد آخر كنت قد اشتريته، وسرنا لمدة عشرة أيام عبر الصحراء. حتى وصلنا إلى مدينة دنقلا، التي تقع على مسافة نصف يوم من بداية الصحارى الكبرى. وهي نهاية مملكة عمارة.
وقابلنا جماعة كبيرة من الفرسان. ورجوت عبد الوهاب أن يتحدث مع زعيم هؤلاء الفرسان ويسأله عن الحالة في هذه البلاد. عندها أسرع عبد الوهاب على جمله للقائهم. وأخبر الفرسان عبد الوهاب بأنهم يبحثون عن عبيد آبقين حينها أفادهم بأننا لم نر أي من هؤلاء العبيد وسألهم عن حال البلاد. فأجابوه بأن البلاد آمنة وطيبة. "ولكن في الليلة الفائتة وصل بعض من أبناء الملك عمارة ومعهم مائتين من الرجال. وقد سمعنا بأن ابن الملك مريض وأن الملك يبحث عن طبيب لمعالجته"[٣٠].
وعندما عاد عبد الوهاب وأطلعني على مدار حديثهم قلت له "إذا كنت ستسدي إليّ معروفاً فإنك ستنال أجراً عظيماً من الله ومني أيضاً "فإنه ليس من الخير لي بأن أبقى في هذه البلاد بينما أبناء الملك فيها. وليس لدي الرغبة في رؤيتهم، وإذا كان لدي تقديراً في نظرك أرجو أن توصلني إلى "المَامَا"[٣١]* وهي على مسافة خمسة أيام من هذا المكان، في نهاية مملكة سوبة على نهر النيل وهناك السكان أعداء للملك، وقد طمأنني بأنه سيفعل ما طلبته منه، وإذا رغبت فإنه سيرافقني حتى مصر. وعندما سمعت كلمات هذا الرجل خَرَرْتُ ساجداً لإله السماء والأرض.
ثم سافرت برفقة هذا الرجل على حافة الصحراء حيث الكثير من الرمال. وكنا كأننا نسير فوق جبال منها. وقد كنت صائماً «لثلاثة» أيام متواصلة حتى وصلنا إلى بلاد أعداء

---

* الماما: من المفترض أن تكون بالقرب من الحد الشمالي لما يعرف الآن بمديرية دنقلا – والخبير قد تكون – بصورة مقنعة – هي الحفير الحالية.

الملك. وعندما قصدت النهر وجدت أحد شيوخ المسلمين، وهو مصري يعيش هناك مع زوجته وأولاده في ذلك المكان الذي يسمى الخَبير[٣٢]. وعندما قابلني هذا الشيخ قام بتقبيل يدي وقال لي "أيها الرجل المبارك من الله، سيدنا وابن سيدنا، أسألك أن تمنحني فضل النزول في بيتي حتى تحل فيه البركة، وستجد عندي قصباً وعلفاً ومكاناً للمبيت في الليل". وعند ذلك ذهبت مع هذا الشيخ واسمه أومان (عثمان؟) وقد رحّب بي وبخادميّ. وقد طلبت منه أن يساعدني في الوصول إلى مصر بأسرع ما يمكن. وقد كانت إجابته لي بأن "الطريق الذي سلكته وجئت عبره من لامئول طريق آمن، ولكنني أعلم يقيناً بأن هذا الطريق الذي ترغب في سلوكه للذهاب إلى مصر طريق غير آمن، وإذا سافرت عن طريق النهر فإنك سوف تقتل. وحتى إن كان النبي يرافقك فإنهم سوف يقتلونه أيضاً. ولذلك أرجو أن تبقى معي في بيتي في سلام وطمأنينة. حتى نرى إذا كان الطريق صار آمناً وبعدها ستذهب مع المسافرين".

وعندما سمعت كلام هذا الشيخ صرفت عبد الوهاب ومنحته عشرة دوكات وغادر عائداً إلى بلاده.

وفي هذا المكان جاء إليَّ خمسة رجال من شباب (القبيلتين) وأهدوني شبلين من جراء الأسود، وقد قبلتهما بنية أخذهما معي لمصر. ثم عاد هؤلاء الرجال إلى بلادهم(٣٣). وبقيت أنا وخدمي في بيت الشيخ.

وقال لي هذا الشيخ الفاضل "إن جمالك هزيلة ومنهكة للغاية، ولا تصلح للسفر عبر هذه الصحراء لذلك من الضروري تغذيتها لمدة شهرين أو ثلاثة حتى تسمن وتصبح قادرة على السفر في هذه الصحراء –حيث أن هناك مراحل من ثلاثة أيام لن تجد فيها أي نوع من الحشائش أو المرعى لإطعامها. وليس هناك غير الماء لتشربه حيثما وجد. وذلك حتى تصل إلى جِرجَه على النيل قريباً من القاهرة".

وعند ذلك سألت الشيخ أن يشير عليَّ فيما يجب عليّ فعله بخصوص الرحلة. وإذا كان يعلم بأن هناك رجال مسافرون لمصر يمكنني أن أصحبهم؟ وطلبت منه أيضاً مساعدتي

في شراء جمال جيّدة تنقلني عبر هذه الصحراء. وحسب طلبي قام ببيعي ناقة جيّدة كان يملكها بمبلغ عشرين دوكات. واشترى لي أيضاً جملين قويين بمبلغ سبعين دوكات، وأضفت إليها جمالي الاثنين الهزيلة في المقايضة.

وفي أثناء إقامتي كان سكان تلك المدينة وما حولها من قرى، يأتون إليّ حاملين هدايا من القمح والشعير والحملان والعجول بمثابة صدقات وهبات، وقد امتلأ بها بيت الشيخ، وكنت آخذ منها ما أحتاجه من علف لتغذية الجمال وأعطي الباقي للشيخ وللمساكين.

وفيما بعد أخبرني الشيخ بأن هناك جماعة من التجار المسلمين ينوون السفر في اليوم التالي عن طريق الصحراء، وكان هذا في اليوم السابع عشر من شهر (مارهشوان)، وهناك كذلك آخرون يستعدون للسفر في أول يوم من شهر (كِسليف). وطلبت من الشيخ أن يستدعي لي قادة الجماعة المسافرة، وأخبرتهم برغبتي في السفر معهم إلى مصر عن طريق الصحراء الكبرى. وكان ردهم: "بأننا سنكون في خدمتك، وسيكون لنا الشرف إذا سافرت معنا، ولذلك نرجو أن تسوى كل شئونك في هذه الليلة حتى تكون مستعداً للسفر في الغد"، وقد نصحوني بأن أملأ قِربي بالماء وأُحمّلها على الجمال.

ونمت تلك الليلة وفي الصباح طلبت من الشيخ مساعدتي في إعداد كل ما هو ضروري لسفري. فأخبرني بأنه كان بصدد فعل ذلك ولكنه في انتظار عبدي الذي غادر البيت ولم يعد بعد. وقد ذهبوا في أثر العبد وبحثوا عنه ولكنهم لم يتمكنوا من العثور عليه.

ولذا طلبت من التجار انتظاري حتى الظهيرة لعلّي أعثر على العبد. ولكن عندما حانت الظهيرة ولم يعد العبد أعطيتهم الإذن بالمغادرة حيث ذهبوا في طريقهم. وبقيت مع الشيخ أياماً عديدة لم اخرج فيها من البيت مطلقاً، ولم أتحرك من مكاني ولا حتى عندما جاء لزيارتي الملوك وكبار القوم.

بعد مدة من مغادرة التجار للخبير، طلبت من الشيخ أن يذهب معي للملك محمد، وقد تركت جميع أغراضي في البيت مع خادمي العجوز، وتوجهنا إلى مقر ذلك الملك.

حيث وجدناه محاطاً بخدمه. وكان يأكل في لحم حمل بدون خبز ويشرب "نبيذ تمر".
وحين رآني أبدى ابتهاجه لحضوري قائلاً: "هذا يوم مبارك الذي حضر فيه سيدنا وابن سيدنا النبي. أنا آمل أن تبقى معي في بيتي. وإن رضيت ستقابل منا بالتقدير والتشريف اللائق". ورددت على قوله "فليباركك الذي اسمه مبارك وأنا أدعو لك وأمنحك العفو والغفران من كل الذنوب. وأنا أطلب منك اليوم أن تُرسل أناساً للبحث عن عبدي الآبق، لأنني أعلم أنه موجود في مملكتك، وسيجزيك الله خيراً عن هذا المعروف الذي تقدّمه لي". ثم عدت إلى بيت الشيخ وقضيت اليوم في الصلاة والدعاء حتى المساء. وعند ذلك أتى الملك بالعبد الهارب وقال لي: "من أجل محبتي لك لا تضرب العبد هذه المرة".
وبعد ذهاب الملك وضعت قيود الحديد على رقبة العبد وأرجله.
وبعد أن قضيت سبعة أيام من الراحة في بيت الشيخ وصل بعض الرجال من التجار الذين غادروا في السابع عشر من مارهشوان وكانوا عرايا ومجرحين من الرأس إلى القدم. وقد اخبرونا بأنهم بعد أن سافروا لمدة ثلاثة أيام هاجمهم في اليوم الرابع جماعة كبيرة من قطّاع الطرق، الذين قاموا بمقتلة كبيرة وسط الجماعة وسلبوا ونهبوا الجميع وأخذوا الغنائم والأسلاب وساقوا العبيد. وهم لا يعرفون إن كان أحداً من جماعتهم قد بقي حيّاً سواهم(٣٤). ولكن بعد يومين حضر رجلان آخران ثم ثلاثة في المساء، وفي كل يوم يحضر المزيد منهم، وكلهم قد تم تجريدهم من ملابسهم وباتوا عراة. ولذلك قمت بإعطائهم ملابس ليغطوا عريّهم ومنح أخرى تصل قيمتها إلى خمسين دوكات.

وبينما بقيت أنا في بيت الشيخ كان هؤلاء المنكوبون يحضرون إليّ في بيت الشيخ ويأكلون من مائدتي حتى اليوم الرابع عشر من شهر (كسليف)، وفيه تحركت مع عبدي في صحبة العديد من الناس وسافرت في الصحراء الكبرى.
وكنت أصوم وأصلي لله في حِلّي وتِرحالي وسفري. وقد نذرت على نفسي أن لا آكل ولا أشرب إلا في فترات حَدْدَتها بثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ. وأن لا آكل بين أماكن التزود بالماء. وفي هذه الصحراء فإن أقرب مسافة بين أماكن التزود بالماء هي رحلة ثلاثة أيام وفي بعض

الأحيان رحلة أربعة أو خمسة أيام وليالٍ. وكنا نشرب فقط من الماء الذي تحمله جمالنا حتى وصولنا إلى مدينة جِرجَة في الريف المصري بعد خمسة وأربعين يوماً.

وفي هذه الرحلة عبر الصحراء كان دليلنا رجل خبير بالطريق. ولأن هذه الصحراء تماثل المحيط كان يستدل على الطريق بالنجوم في الليل وبخبرته ومعرفته أثناء النهار. وقد طلب مني هذا الخبير واسمه (شالوم) وبالعربية سلام، أن يستضيفني في بيته، حتى يدبّر لي الوسيلة للسفر للقاهرة. وكان بيته على مسافة ميل في طرف المدينة وعلى ضفة النهر، وقد ذهبت معه إلى هناك حيث وفّر لي المسكن والسرير للمبيت وأحد خدمه للوقوف على احتياجاتي وحاجات خدمي.

وقد مكثت في ضيافة هذا الرجل عشرين يوماً وفي أثنائها تخلصت من جمالي بالبيع بمبلغ مائة قطعة من الذهب. بعدها ركبت على متن قارب صغير سافرت فيه انحداراً في النيل حتى وصلت إلى أبواب القاهرة.

وهناك تم تعطيلي بواسطة الأتراك المسلمين الذين قاموا بتفتيش كل أغراضي وصناديقي من أجل تقدير الضرائب والجمارك عليها. وقد طالبوني بدفع عشرين «فلورين» على العبيد لأنه غير مسموح لأحد أن يدخل أبواب القاهرة بعبيد كوشيين إلا إذا دفع ضريبة تساوي عشرين فلورين عن كل واحد منهم العبيد.

وعندما رأى الأتراك شبلي الأسد فإنهم طمعوا في أخذها كهدية، وقالوا أنهم سيعفونني من دفع الضرائب والجمارك على العبيد والمصروفات الأخرى. ولذلك أعطيتهم الشبلين لتوفير المصاريف الأخرى. ومن أجل ذلك أظهروا لي الكثير من الاحترام والتقدير لأنهم سُروا كثيراً وقالوا أنهم ينوون إرسال شبلي الأسد للملك التركي.

ثم دخلت القاهرة عند غروب الشمس في اليوم الأول من شهر أدار من سنة ٥٢٨٣ = (١٥٢٣)م.

١. بما أن داؤود، من الواضح، أنه يهودي شرقي وربما (يمني) فقد فضلنا اسم داؤود في هذه الترجمة على «ديفيد» عند اليهود الغربيين.

٢. كوش هو أحد الأسماء القديمة للسودان الحالي. والذي أطلقه المصريون على الأراضي جنوبهم، وأصبح اسم بلاد كوش وممالك كوش يُطلق على كل الممالك السودانية التي حكمت السودان في الفترات من مملكة كرمة ثم مملكة نبتة ومروي، وقد أشير إليها بهذا الاسم في الكتابات الهيروغلوفية والعبرية والآشورية باسم مملكة كوش (صلاح عمر الصادق ١٧٨).
واسم كوش وبلاد كوش قد ذكر عدة مرات في الكتاب المقدّس (العهد القديم) وفي أجزاء مختلفة منه مثل سفر التكوين الآية ١٠ وفي سفر الملوك الإصحاح ١٩ نجد إطلاق صفة الكوشي على الملك السوداني ترهاقا) ٦٨٨ م- ٦٦٣ م). (انتصار صغيرون ٢٣٠٥) وبالنسبة لروبيني وحسب مرجعيته التوراتية كان السودان عند وصوله هو بلاد كوش يحكمه ملوك كوش، ولكنه بعد الفترة التي قضاها في بلاد عمارة غيّر مصطلحاته حسب ما وجده من تسميات هناك مثل (سوبه - التكاكي - ودنقلا ..الخ).

٣. في الوقت الذي زار فيه روبيني سواكن كان الصراع العسكري للسيطرة على البحر الأحمر قائماً على أشده بين قوتين متنافستين هما العثمانيون والبرتغاليون وكانت أهمية هذا الصراع بين قوة مسلمة وأخرى مسيحية، أنها شكّلت مدخلاً لروبيني عند وصوله لأوروبا ليعرض نفسه كمُطَلِع على الأحوال في المنطقة وحامل رسالة من مملكة يهودية في المنطقة وعارضاً تكوين حلف لمجابهة هذه القوة المسلمة، وبذلك وجد أذناً صاغية عند البابا ومدخلاً مناسباً لملك البرتغال وملك فرنسا (سيف الإسلام ٢٠١٣: ١٧٨).

٤. أشا لم يتمكن أحد من تحديدها غير أنها في أرض كوش مملكة شيبا. وروبيني في يومياته في هذه المرحلة يستعمل اصطلاحات توراتية. ويبدو أن مملكة شيبا عنده تعادل مملكة سوبه كما يعود هو نفسه لاستعمال لفظ مملكة سوبه بعد أن مكث عشرة أشهر مع الملك عمارة، وبعد ذلك بصورة مستمرة.

٥. عمر أبو كامل: الاسم والوصف يدل على شخص مسلم وليس بالضرورة عربي. وفي هذه الفترة كانت تجارة سنار مع سواكن يسيطر عليها (الأرتيقة) والذين يعرفون في سنار بالحضور. وقد وصفهم بوركهارت لاحقاً في شندي كأثرياء وتجار يسيطرون على تجارة سواكن مع شندي وسنار.

٦. يقول روبيني إنه سافر في قافلة تتكون من ثلاثة ألف جمل وقافلة بهذه الضخامة قد تكون من القوافل السلطانية التي يقودها خبير الملك، وقد وصف كرمب مثل هذه القافلة السلطانية من مصر إلى سنار في ١٧٠٠م ومثل هذه القافلة لا بد أنها تسلك طريقاً تجارياً معروفاً من سواكن إلى سنار، والطريق الذي وصفه روبيني يبدو انه هو الطريق الذي تعبره القوافل في فترة الفونج، والطريق يمر أولاً خلال جبال البحر الأحمر بخور بركة، وطوكر، إلى كسلا بطول ٢٧٤ ميلاً ويعبر هذا الطريق نهر القاش ونهر عطبرة متجهاً إلى القضارف حيث سوق أبو سن على نحو ١٤٣ ميلاً من كسلا وعلى نحو ١٤٦ ميلاً من أبي حراز، وفيها سوق من أشهر أسواق السودان يأوي إليها التجار من أهل السودان ومصر والحجاز، والهند، والحبشة وأوروبا. (نعوم شقير ١٩٦٥– ١٢٠) ومن هناك إلى سنار. وقول روبيني إن الرحلة استغرقت شهرين قد يدل وصفه للمراعي والنباتات والأنهار، أن رحلة هذه القافلة قد تمت في فصل الخريف الذي يوفر لمثل هذه القافلة الضخمة الماء والأعلاف طوال الطريق.

٧. ربما يقصد ببداية مملكة كوش هنا مقر الملك حيث إنه يدخل مباشرة وبدون تمهيد في وصف الملك عمارة ومكان إقامته.

٨. وصف عمارة بأنه ملك أسود لا يشذ عن وصف الرحالة اللاحقين لملوك سنار فبونسيه يصف بادي (الأحمر) بأنه أسود اللون ولكنه حسن الشكل، و لم يكن غليظ الشفاه أو أفطس الأنف (بونسيه ١٩٤٩: ١٤) ويصفه كرمب بأنه فاحم السواد.

٩. حُكم عمارة على شعوب سوداء وشعوب بيضاء يذكرنا بوصف أزانا في حملته على النوبة الحمر والنوبة السود. وما زال هذا التفريق في السودان لأناس متشابهون في اللون مثل المسيرية الحمر والمسيرية الزرق. وبالرغم من أن هذه الأوصاف اللونية لا تدل على اختلاف حقيقي ولكنها ربما تدل على التنوع العرقي والثقافي في تلك الفترة.

١٠. هنا يقرر روبيني بوضوح أنه يقصد بمملكة شيبا مملكة عمارة، والتي يسميها لاحقاً وباستمرار مملكة (سوبه).

١١. هنا يصف مدينة الملك بأنها تقع على رأس Head نهر النيل، واسم المدينة لامئول. ولا يعطي وصفاً أكثر غير أن الملك يقوم بالطواف شهراً بعد شهر ومن محطة إلى محطة. وفي هذا المجال يرى (تورك ١٩٩٩) أن ممالك كوش القديمة كان لها أكثر من عاصمة ومدناً مثل نبتة، الكوة، بنوبيس، أي كرمة. وأن الملك الكوشي كان لا يقيم في مدينة واحدة، وبالتالي فإن عاصمة كوش كانت عاصمة متجولة، (خضر آدم عيسى ٢٠١٠: ١١٤).

١٢. إشارة روبيني لرعاية أبو كامل لشئونه قد تدل على وجود تقليد "الضرا" الذي يتوافق مع تقاليد الفونج اللاحقة والتي تفرض أن يكون أحد الأشخاص مسئولاً عن حماية ورعاية الأجانب، ويطلق عليه اسم

"الضرا" وقد وصفه كل الرحالة من بونسيه وكرمب وحتى بروس. وكان هؤلاء من كبار رجال البلاط وعلى كل أجنبي وافد للسلطنة أن يختار واحداً من النبلاء الأربعة في البلاط كراعٍ لشئونه. وهذا النبيل: ملزم بمساعدة الأجنبي في كل المصاعب والمحنٍ ويوفر له مكاناً للإقامة، ويقدمه للسلطان ويمثل مصالحة هناك (سبولدنق، كرمب، بونسيه، بروس). وما زالت مؤسسة الضرا قائمة حتى الآن في مناطق كردفان ودارفور، وهي على مستويين ضرا عام للقرى والفرقان وضرا يقوم به الزُعماء والشيوخ.

١٣. حاشية الملك التي تتكون من حكام للمدن (الأقاليم) ومقدمين للحرب وموظفين آخرين. هذا الوصف قد نقارنه ببلاط ملك الفونج وحاشيته في فترات لاحقة حيث وصفه الرحالة وأثبتته الوثائق، فهناك حكام أقاليم قري، أتبرا، التاكا، بيلة أليس القربين البحر وكردفان، والمقدمين منهم مقدم السواكرة ، مقدم الخيل، مقدم العدة، مقدم القوارية، مقدم القواويد والموظفون الموكلون بالإدارة العليا وتطبيق القانون قد يكونون الجندي وأمين السلطان، وقد نرى من ترتيب الحاشية التنظيم الذي ورثه حكام الفونج اللاحقين كان موجوداً في زمن عمارة. وربما ورثه هو مع ما ورث من مملكة سوبه (اسبولدنق. ٢٣:١٩٨٥).

١٤. وصف ثروة الملك بأن له العديد من الجياد والإبل وعدد لا يحصى من الماشية يذكرنا بوصف ابن سليم (١٩٧٢: ١٠٢) لمملكة علوة (سوبه) التي ورثها "عمارة وممتلك علوة أكثر مالاً من متملك المقرة وأعظم جيشاً وعنده من الخيل ما ليس عند القرى، وبلده أخصب وأوسع .. وكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة ... وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب" "ويضيف ابن حوقل (١٩٧٢: ٧٣)" وبيد ملك

علوة "من معادن التبر الغزير الكثير."

١٥. البلاط المتحرك: هذا الشكل من البلاط المتحرك يبدو أنه موروث من زمن خراب سوبه مدينة المملكة الرئيسية. وبالرغم من إشارة روبيني إلى وجود سنار إلا أنها لم تكن مكان استقرار للملك. وهذا النمط من البلاط نراه في عدة أماكن من أفريقيا ونجده في بعض الفترات في إمبراطورية الحبشة المجاورة حيث يلجأ الأباطرة لهذا النمط لفرض وتثبيت حكمهم في أقاليم المملكة المختلفة. وقد يكون هذا التدبير قد اتخذه ملوك علوة (سوبه) بعد تدمير سوبه بواسطة العنج واضطرارهم لإخلائها (كاتب الشونة) ١٩٦١-٧

١٦. وصف روبيني للإماء والرقيق الذين يتبعون الملك لا يختلف عن وصف بونسيه وكُرمب، بعد قرنين يورد بونسيه: خط سير الملك، المسيرة الأولى تتكون من نحو ثلاثمائة أو أربعمائة من الخيّالة. بعدها يأتي الملك تحت حراسة المشاة: وفي الموكب يشترك نحو سبعمائة أو ثمانمائة من الفتيات والنساء حاملات فوق رؤوسهن سلالاً كبيرة من السعف يجمع ألوان الزهور المختلفة .. هذه السلال بداخلها آنية نحاسية -مليئة بالفواكه واللحوم المختلفة. كل هذه الأشياء توضع أمام الملك وبعد ذلك تقدم لأتباعه المرافقين له (وانظر أيضاً كرمب. حيث يصف: "وكانت تتقدم موكب السلطان ثلاثمائة من الإماء وكن يلبسن تنورات من الحرير وباقي الجسم ليس عليه شيء وفي أيديهن يلبسن أسورة من الفضة، وشعرهن محلى بعدد كبير من القطع الفضية وبعض الخرز. وكانت كل هذه الحلى تصدر رنيناً موسيقياً".

١٧. وصف روبيني لطعامهم بأنهم يأكلون الأفيال والذئاب والنمور (النمل) الكلاب، الجمال، الفئران والضفادع والثعابين وحتى لحم الإنسان.

بالرغم من أن كلام روبيني يوحي وكأن هذا طعامهم اليومي، ولكن مثل هذه الأطعمة يرتبط بعضها بالصيد للحيوانات الكبيرة، وبعضها للاعتقاد في فوائدها الصحية وغيرها. وقد أورد كثير من الرحالة المتأخرين وعلماء الأنثربولوجيا في السودان مثل أكل الزراف وفرس النهر وبعض أنواع القطط والضفادع والفئران.ولكن أكل لحم الإنسان لم يتعد بعض الأساطير والاتهامات لبعض الجماعات بهذه الممارسة وبأنهم ينقلبون إلى ضباع وتماسيح ويفترسون الناس. ويورد أيفانز برتشارد: بأن مجتمع آكلي لحوم البشر ارتبط بأنه ممارسة أفريقية، والاعتقاد في وجوده كان اعتقاداً شائعاً إلى زمن قريب في السودان، وهو يستند على أساس واقعي وليس خيالاً محضاً. فالأزاندى كما يقول أيفانز برتشارد ليس هناك ما يدعو للشك في أن الأزاندى كانوا في الماضي من ممارسي أكل لحوم البشر.

وما جاء به روبيني لا يشكك في مصداقيته فإنه إن لم يكن رأى ذلك قد يكون قد سمع بها وهي قصص متواترة عند السودانيين حتى القرن العشرين.

١٨. إشارة روبيني للأشراف الذين يقيمون في أرض كوش لا يمثل وجوداً جديداً، فهناك وجود قديم للإسلام في مملكة علوة: ففي الإقليم الشرقي لعلوة نجد تأثر مناطق البجة بالإسلام منذ العهود الأولى .. فهناك الحدارب الذين يصفهم المقريزي (١٩٧٢– ٢٩٤) بأنهم مسلمون من بين سائر البجة. ويصف ابن حوقل (١٩٧٢– ٧٤) منطقة الدجن (القاش) "بأن عليهم ملك مسلم يتكلم العربية من قبل صاحب علوة". ووجود الإسلام يظهر حتى في سوبه العاصمة نفسها، فقد ذكر ابن سليم (١٩٧٢: ١٠٢) إن في سوبة " ربض فيه جماعة من المسلمين، كما يقول اليعقوبي (١٩٧٢: ١٨) "والمسلمين يختلفون إليها". ويشير كاتب الشونة إلى

رباط معمور بالمسلمين" في زمن العنج.

١٩. الملكة هنا ودورها في حماية داؤود، وحرصه على إرضائها يدل على أهمية دور الملكة. وهذا يستند على إرث سوداني كوشي قديم. فهناك بعض الأدلة على أن الأسر الحاكمة في مملكة نبتة كانت ذات نظام أمومي. وكذلك الاتجاه نحو إضفاء الأهمية العظمى على الملكة الأم في مروي. والأدلة متوفرة على أن الممالك المسيحية التي خلفت دولة مروي كان هذا النظام سائداً فيها بمعناه الواسع من حيث حقوق الوراثة تذهب عن طريق الإناث وليس عن طريق الذكور. ومن الواضح أن هذا النظام قد استمر في المراحل الأولى من المجتمع المسلم في السودان من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر. ويبدو أن ممارسات الفونج في هذا الصدد كان إرثاً مباشراً من ممالك العصور الوسطى (سبولدنق ١٩٨٥ –٤٢).

٢٠. المرسال: نظام المراسيل عرفت به مملكة الفونج كوظيفة هامة تعتمد عليها إدارة البلاد –والمراسيل طبقات حسب ما ورد في ملاحظات الرحالة. فهناك مراسيل يمثلون الملك وعلى مستوى عالٍ من التفويض. وليست وظيفة المرسال مقصورة على حمل الرسائل ولكنه يمثل الحاكم أو السلطان الذي أرسله وبهذه الصفة يمكنه استلام الضريبة، وأن يصدر أمراً للحاكم بالمثول أمام السلطان، وأن يلاحق المخالفين وأن يحتجزهم وأن يحل المنازعات، وأن يفرض تنفيذ امتيازات الهبات، وأن يعلن الخروج على السلطان في حق المتمردين على تنفيذ الأوامر ويقول كرمب "في هذه البلاد فإن قري" ومدناً بأكملها ترتجف أمام مراسيل السلطان لأنها ملزمة بتوفير كل ما يحتاجون إليه وما يطلبون من خدمات ودواب (سبولدنق ١٩٨٥– ٧٧).

٢١. وضع سنار غير محدد في وصف روبيني غير أن فيها خزينة الملك وموظف

مسئول عنها. والسؤال هل هي تمثل المدينة الرئيس في المملكة التي تحفظ فيها المهمات وأموال الدولة والمركز الرئيس لتجارتها، الأمر الذي تطورت بعده لأن تكون العاصمة.

وإذا كانت سنار بقدر عالٍ من الأهمية فإن الشخص المسئول عنها لا بد أن يكون في منصب عالٍ. وقد نرى في (أوبادية) ذلك المنصب الذي ذكره كرمب لاحقاً وهو منصب نائب الملك (Viceroy). وهو أحد المنصبين الهامين اللذين أشار إليهما كرمب بهذا اللقب Viceroy - أحدهما لموظف رفيع في سنار والآخر شيخ قري.

٢٢. لامئول: محل إقامة الملك عند منابع النيل وكان قد ذكر أن لامئول عندما وصلها أنها في رأس Head النيل الأزرق، والآن عندما غادرها بعد عشرة أشهر من التجوال إنها على منابع Sources النيل وهنا يطرأ السؤال هل التعبيران Source; Head يعنيان مكانين مختلفين على النيل الأزرق. وإذا كانت لامئول عند منابع النيل تبعد ثمانية أيام من سنار، فأين كانت لامئول الأخرى عند (رأس النيل). وإذا كان وصف روبيني لمنطقتين بعيدتين عن بعضهما البعض. فإن هذا قد يقودنا إلى استنتاج واحد هو أن اسم لامئول كان يطلق على بلاط الملك المتحرك أينما حل ولامئول تعني مدينة الملك المتحركة.

٢٣. يقول روبيني: إنه سافر إلى سنار لمدة ثمانية أيام وعبر عدة أنهار، وهناك العديد من مراعي الأفيال . وقد نجد الوصف مشابهاً لوصف كرمب الذي أورد "إنه من هنا (سنار) إلى الجنوب مسافة ثمانية أيام وهناك مملكة تسمى فازوغلي (نفس المسافة التي سافر فيها روبيني من لامئول على منابع النيل في ثمانية أيام). وشاهدنا مراتع الأفيال وأعداداً وافرة منها تتوافق مع ما ورد عند كرمب "أفيال الأحراش مثل تلك التي توجد في مملكة سنجة".

٢٤. **خراب سوبه:**

يعزي كاتب الشونة خراب سوبه إلى الحلف بين عمارة دونقس وعبد الله جماع في ١٥٠٤ ولكن هولت يشكك في هذا الحلف الفونجاوي العبدلابي، ويقول إن غزو وإخضاع سوبه قد تم في زمن سابق بواسطة العبدلاب وحدهم مما يعني أن خراب سوبه تم قبل زمن عمارة. ويشير الفحل الفكي (١٩٧٦-٢٢) إلى أن خراب سوبه تم على فترتين إحداهما قبل الحلف (الفونجي العبدلابي) فالحفريات الحديثة تدل على أن سوبه قد شهدت في القرن الرابع عشر على أقصى تقدير، الكثير من التضعضع وربما الغزو من مجموعة خارجية تحمل أيديولوجية مغايرة على الأرجح. وقد لاحظ الأثريون في حفرياتهم أن الكاتدرائيات في سوبه قد توقفت عن أداء دورها في القرن الرابع عشر على أقل تقدير بل أن إحدى هذه الكاتدرائيات قد تم تحويلها إلى سكن عادي. ومن الملاحظات التي لفتت نظر المنقبين عن الآثار جاء السؤال عما حدث لهذه الكنائس، هل يعني ذلك أحداثاً عمت سوبه أو ربما تغيراً في الأيدلوجية جاء به عنصر من الغزاة احتلوا المدينة؟ (ولسبى ١٩٩١ -٩) وقد تكمن الإجابة فيما أورده كاتب الشونة: (شبيكه ١٩٤٧: ٢٣) عن العنج، وكان العنج قبله تغلبوا على النوبة .. وكان تغلبهم عليها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي).

٢٥. سافر روبيني مسافة عشرة أيام حتى وصل مملكة الجعل، ولتحديد مكانها لدينا تقدير للإدريسي (في مسعد ١٩٧٢ - ١٢٤ص) يقول إن المسافة بين سوبه والتقاء نهر عطبرة بالنيل هي عشرة أيام. ولكن إذا قدرنا المسافة المعروفة لليوم بحوالي خمشة عشر ميلاً فإن المنطقة التي وصلها روبيني في عشرة أيام قد تكون مكاناً ما حول إقليم بربر التي تبعد عن الخرطوم حوالي ١٩٦ ميلاً.

٢٦. مملكة الجعل:

ظهور "الجعل" مرتبط بظهور العنج قبلهم في مملكة سوبه حيث يقول كاتب الشونة (أن العنج كانوا قد تغلبوا على النوبة). في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ويبدو أن هؤلاء العنج استطاعوا السيطرة على حكم الجزء الشمالي من علوة حتى نهاية القرن الخامس عشر. وهناك العديد من الروايات الشفاهية عند (العبدلاب) وعند الرباطاب والمناصير بالإضافة إلى المخطوطات الوطنيه تظهر لنا عنصراً جديداً قام بمحاربة العنج "وكما يقول النبر عن الجعل وتغلبوا على ملك العنج بالظفر ثم سكنوا ما شاء الله حتى أتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد .. وصارت جعل عندهم من جملة الرعية ولكن لهم المزية على غيرهم .. فولوهم فيما هم فيه من البلاد" (النبر: ١٧٥). وما أورده روبيني في العام ١٥٢٣ عن مملكة الجعل يعتبر سنداً قوياً لما جاء في المخطوطات الوطنية والتراث الشفاهي لمناطق المناصير والرباطاب.

٢٧. أبو عقرب، هناك رواية شفاهية يقول راويها بأنه يستند على مخطوطة تفيد بأن أبو عقرب من ملوك الميرفاب الأوائل (محمد محجوب مصطفى الصائم، بربر القنجارة) بالرغم من غرابة الاسم إلا أننا نجد الاسم لأحد الأشخاص -حمد أبو عقرب- في الطبقات (١٩٧٤: ٥٤، ٣٠٨) والاسم أبو عقرب (يُقال) أنه موجود لأسرة في منطقة بربر ودار مالي.

٢٨. التَككِي: أشار هيللسون إلى أن بروفيسور بول بوركشارت أفاده بأن التكاكي تقع على سفح جبل تكاكي على بُعد خمسة وثلاثون كيلومتر جنوب أبو حمد (هيللسون ١٩٣٣: ١٣٥) ويورد الشاطر بصيلي (١٩٧٢: ٣١٤) أن الموضع الذي زاره روبيني جبال التكاكي وهي في إقليم أبو حمد. ومن الرحالة الأجانب الذين ذكروا المنطقة بهذا الاسم

(بروس ١٨٠٤، ١٠٥) وبأنها تقع على بُعد ثلاثة أيام أو خمسة وأربعون ميلاً شمال بربر وذكرها بوركهارت (١٨١٩: ٢٥٤) في مقرات ويلخص كروفورد ١٩٥١، "أن هذه الصحراء شمال مقرات وغرب مقرات حملت في زمن سابق اسم التكاكي. ويذكر كايو عرب التكاكي، وتشير المخطوطات (النبر ١٧٥٠: التكاكي) ويوسف فضل (١٩٧٤: ٢٦٦) والشاهد أن اسم التكاكي كان اسماً معروفاً للمنطقة بين الشلالين الرابع والخامس احتفظت به الروايات الشفاهية المحلية والمخطوطات الوطنية، كما أشار للاسم العديد من الرحالة الأجانب.

٢٩. عبد الوهاب: قد يكون من المناصير، الذين يسكنون في الصحراء في منحنى النيل ويسمون بالوهاباب، ومنهم الخبراء. والطريق الذي اقترحه عبد الوهاب على روبيني في الصحراء بين التكاكي ودنقلا طرق معروفة ذكر المقريزي (١٩٧٢:٣٥٧) الطريق بين دنقلا إلى شنقير عبر الصحراء، ويفيدنا بروس بأن هناك طريق بين التكاكي وكورتي مسافة عشرة أيام أو ١٠٥ ميل. وأشار بوركهارت بأنه علم بأن القوافل كانت معتادة أن تسافر من بربر إلى دنقلا من خلال الجبال في الضفة الغربية للنيل (بوركهارت ١٨١٩: ٢٢٠). وهذا الطريق المختصر هو الذي اتخذه إسماعيل باشا ليصل من كورتي إلى الباقير في منطقة التكاكي (كايو ٢٣٠: ٦٧) ودنقلا المذكورة هنا هي دنقلا العجوز.

٣٠. ما هو نوع الأطباء الذي يبحث عنه الملك؟ قد درج المبشرون الذين يذهبون للحبشة في عهد بونسيه وكرمب ان يكونوا من الأطباء الذين يرغب الملوك في خدماتهم .. هل كان هناك أطباء من هذا النوع يأتون مع القوافل في زمن روبيني؟؟

٣١. الماما: يقول بوركشاردت المقصود بها جبل ماماه عند شلال الخَلَفة

بالقرب من أوقمة، وهي الحدود القديمة لمملكة الفونج (هيللسون: ١٩٣٣: ١٥٤).

٣٢. الخبير قد تكون: الحفير حيث نقطة انطلاق القوافل، من مشو عبر الصحراء.

٣٣. الفقرة شباب القبيلتين خارج السياق ويعتقد اليهود أن هناك بعض القبائل اليهودية في الصحراء النوبية.

٣٤. يبدو أن هذه منطقة وصول القوافل من مصر الذي أتى عن طريقها بونسيه وبعده كرمب بعد رحلة في الصحراء وتجربة كرمب في مشُّو مشابهة تماماً لتجربة روبيني من عدم أمان وقطاع طرق، والطريق غير الآمن بحذاء النهر مع أن كرمب وصل إلى هذه المنطقة بعد قرنين من رحلة روبيني. مما يوحي بأن هذا الطريق الصحراوي كان مطروقاً منذ بداية عهد الفونج وربما قبله. وقد التقى كرمب هنا بزعيم (ملك) للمنطقة كما فعل روبيني وهو شخص مسلم، ولكن له عادة النوبيين في شرب -النبيذ- المعروف عند النوبيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعقيب ومستخلص من زيارة روبيني لعمارة

وجدت رواية روبيني عن رحلته ومغامراته الكثير من عدم التصديق، واتهامه من قبل معاصريه بالكذب والاحتيال وعدم المصداقية. وقد يُعزى هذا لطبيعة مغامراته وطموحاته في بلاطات أُوربا وادعاءاته، الأمر الذي أوصله في النهاية إلى براثن محاكم التفتيش و السجن في أسبانيا.[١]

ولكن في المقابل فإن الجزء من مذكراته الذي وصف فيه زيارته للسودان وإقامته عند عمارة ثم مغادرته إلى مصر يتسم بالكثير من المصداقية ويدل على أنه فعلاً وصل وعاش في السودان وغادره في عام ١٥٢٣م. وليس هناك ما يقدح في روايته عن الأماكن التي زارها، والأشخاص الذين قابلهم بمن فيهم الملك عمارة نفسه. وبالرغم من مزايدته في ادعاء الإسلام بل ادعاء الشرف الأمر الذي انطلى على مجتمع الحاشية حول عمارة وبالرغم من حضور أحد الأشراف الحقيقيين وكشفه لروبيني كمدعي يهودي، إلا أن هذا الاتهام يبدو أنه لم يؤثر في معاملة الملك وحاشيته – غير المتعصبين – وقد يكون الملك عمارة تأثر بما ينطوي عليه الادعاء من كذب وعدم مصداقية ولكن روبيني وجد في ذلك المجتمع الأفريقي الأمومي سنداً كبيرا وحماية من قبل الملكة. ولكن روبيني المتوجس والقادم من الجزيرة العربية، أصابه الذعر من كشف أمره وآثر المغادرة مؤثراً السلامة، ومواصلاً لمهمته التي أسندها لنفسه للوصول إلى بلاطات أوربا المسيحية.

ومن الواضح أن مرجعية روبيني في بداية رحلته إلى السودان، ومعرفته السياسية والجغرافية كانت تستند على التراث التوراتي واليهودي عن أرض

كوش، ويبدو أنه كان يسجل يومياته في رحلته قبل وصوله إلى مقر الملك عمارة، ونقل منها عند كتابته عن رحلته بعد وصوله إلى أوربا. ولكنه بعد أن وصل إلى مقر الملك في لامئول وقضائه معه حوالي العشرة أشهر، بدأ يغير في مرجعيته ويستند على ما وجده محلياً مما كان يطلق على الدولة والأشخاص والأماكن. وقد عُرف في لامئول أن المملكة إسمها سوبة، وأن الملك عمارة هو ملك سوبة، وأن الأقاليم والأماكن التي قام بزيارتها بعد ذلك مثل مملكة الجَعَل والتكاكي ودنقلا والحفير هي الأسماء الحقيقية للمناطق الجغرافية الي مر بها و تتبع لعمارة ملك سوبة .

من جهة أخرى، من الواضح أن روبيني لم يكن يمتلك المهارات والمقدرات الجغرافية الكافية. ولذلك يجيء وصفه للأماكن معمماً للمعالم الجغرافية. وتقديره للمسافات بالأيام لا يستند على الطريقة المتعارف عليها عند الجغرافيين القدماء الذين يحسبون المسافات بالأيام ويقصدون في الغالب المسافة التي تقطعها القافلة في اليوم الواحد في العادة وتقدر مابين ١٤ – ١٦ ميلاً في اليوم.(٢)

وأكثر ما يُلفت النظر في رواية روبيني هو تركيزه وبطريقة لا لبس فيها بأن المملكة التي زارها إسمها مملكة سوبة. وأن عمارة ملك سوبة وأن الممالك على النيل مثل الجعل ودنقلا تتبع له و تأتمر بأمره بحسبانه ملك سوبة. وبالرغم من أن روبيني مر بسوبة المدينة التاريخية ووجدها خراباً، فإن هذا التركيز من روبيني يحتم علينا إعادة النظر في علاقة مملكة عمارة وصلتها بمملكة سوبة (علوة).

ومنظور أن مملكة الفونج كانت تمثل إمتداداً طبيعياً وإستمرارية لمملكة علوة، وجد عناية من بعض الدارسين حيث يقول شاتاوى « يلف الغموض التاريخ المبكر للبلاد التي عرفت فيما بعد بإسم مملكة الفونج. ولكن تتوفر دلائل على

إرتباطها بمملكة مروي ثم مملكة سوبة من بعد».[٣] وينادي اسبولدنق بالتخلي عن النظريات التي ترى الفونج مجموعة دخيلة ذات أصل أجنبي ويقترح النظر في فرضية (هارتمان) التي تقول «أن أفضل فهم للفونج يتمثل في أنهم ورثة مؤسسات النوبة في العصور الوسطى».[٤]

والأخذ بهذا المنظور يلزمنا أولا بمراجعة الفرضيات التي سادت في التناول التقليدي لحقبة الفونج والتي يقول عنها يوسف فضل «كان من المتفق عليه حتى وقت قريب أن سقوط سوبة قد تم نتيجة لإتفاق ثنائي بين العرب والفونج أو بين عبدالله جماع وعمارة دونقس، وعلى أثر هذا الإتفاق قام ما يسميه البعض بالحِلف السِناري».[٥]

ولكن هذه الفرضية وجدت مؤخراً نقداً موجهاً في الأساس لوجود حلف بين العبدلاب والفونج حيث يعتقد البعض أن الأمر تم أولاً بقضاء العبدلاب على ملوك سوبة (العنج) ثم بعد ذلك تمت هزيمة العبدلاب على يد الفونج. ويعتمد النقد في مجمله على من هو البادئ بحرب العنج والقضاء على دولتهم، العبدلاب بمفردهم أم بالتحالف مع الفونج ؟[٦]. ولكن تم الحفاظ على الفكرة الأساسية في قيادة عبدالله جماع لمجموعات من العرب المسلمين الذين كانوا نتاجاً للهجرة العربية والتي تجمعت في السودان الأوسط وقامت بالقضاء على العنج بقوتها الذاتية أو بالتحالف مع الفونج وان المعركة الفاصلة تمت في سوبة وقَرّي.

وبالرغم من سيادة تيار أن سوبة سقطت بواسطة العرب بقيادة العبدلاب أو بالتحالف مع الفونج، فإن الفرضية نفسها بالرغم من منطقيتها النظرية إلا أنها تستند وتقوم على وقائع لا يمكن إثباتها. ويمكن تلخيص الثغرات في هذه الفرضية:

أولاً: التشكيك في وجود التحالف بين العبدلاب والفونج في ١٥٠٤م.

ثانياً: التشكيك في وجود سوبة نفسها في هذا التاريخ حيث أن هناك إشارات كثيرة إلى أن سوبة قد هجرت في القرن الرابع عشر على أقصى تقدير. والحفريات الحديثة في موقع سوبة تدل على أن سوبة شهدت في القرن الرابع عشر على أقصى تقدير الكثير من التضعضع وربما الغزو من مجموعة خارجية تحمل أيدلوجية مغايرة على الأرجح وهناك إحتمال أن تكون سوبة نفسها قد أخليت في هذه الفترة.(٧)

ثالثاً: ليس هناك من الآثار ما يدل على أن الفونج قد إتخذوها مركزاً لهم وليس في سوبة مايدل علي آثار تذكر من فترة الفونج.(٨)

الإشارات التي أوردناها هنا عن تضعضع وتوقف سوبة عن أن تكون عاصمة علوة وربما إخلاؤها، بالإضافة إلى ظهور مسمى (العنج) كحكام في المنطقة يحتم علينا النظر والرجوع إلى الأحداث في مملكة علوة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والتي أدت إلى هذا الوضع في العاصمة سوبة وفي طبيعة الحكام الذين ظهروا تحت مسمى (العنج).

ومملكة علوة، من خلال إفادات المؤرخين العرب والمسلمين وكذلك من خلال الحفريات الأثرية، كانت صورتها طوال الفترة من ٨٥٠م إلى ١٣٠٠م تدل على إزدهار إقتصادي وعمراني وتحضر وإستقرار سياسي لمجتمع نشط ومزدهر ومتماسك.(٩) وفي إتساعها في حيز جغرافي كبير والتنوع في بيئاتها الاحيائية والجغرافية والتعدد العِرقي في سكانها وثقافاتهم المختلفة، وامتداد المملكة من أرض البجة في الشرق وحتى دارفور في الغرب ومن الشلال الرابع في الشمال إلى المنطقة الجنوبية من النيلين الأزرق والأبيض. وليس لدينا الكثير حول كيفية إدارة الدولة والإحتفاظ بوحدتها. ولكن من الظواهر الهامة التي أوردها المؤرخون والجغرافيون العرب أن علوة (سوبة) مارست نظاماً لا مركزياً للحكم (قد يكون فدرالياً) ذا صلاحيات واسعة لبعض

الأقاليم. ويبدو من وصف هؤلاء المؤرخين أن هناك ثلاث أقاليم لعلوة أطلق عليها اسم مملكة وعلى حاكمها لقب ملك.[١٠]

أولها الولاية الشمالية لعلوة والتي عرفت باسم الأبواب وكانت ولاية استراتيجية تمثل المدخل الشمالي المتاخم للاحداث في مملكة المقرة. ويبدو أن أهمية هذه الولاية إزدادت بعد إنهيار مملكة دنقلا على يد المماليك. وأصبح واليها أهم شخصية بعد الملك الكبير في سوبة وله صلاحيات واسعة خاصة في العلاقات الخارجية مع مصر وله جيش تحت إمرته وأطلق عليه لقب ملك.

الأقليم الثاني الهام لعلوة هو إقليم الدُجن في الولاية الشرقية لعلوة في حوض القاش والدلتا التي تُكونها. ومن الواضح أن هذا الإقليم كان هاماً بالنسبة لعلوة حتى يطلق على حاكمه لقب ملك مثل حاكم إقليم الأبواب والذي ذكره إبن حوقل (ت ٩٥٦م) "ولهم ملك مُسلم من قبل صاحب علوة"[١١].

ويبدو أنه كان لحاكم إقليم (الدُجن) هذا صلاحيات واسعة بحسبانه حارس البوابة الشرقية لعلوة. وقد ذكر ضمناً أن كلاً من ملك الأبواب والدجن له جيش تحت تصرفه.

والإقليم الثالث الذي ذكره المؤرخون العرب هو الإقليم الذي يطلق عليه علوة وأحيانا سوبة. ومن الراجح أن هذا الإقليم الذي يضم العاصمة ومركز الدولة كان يحكمه مباشرة ملك سوبة وهو الملك الكبير الذي يخضع له باقي الملوك المذكورين وحكام الأقاليم الأخرى.[١٢]

الصورة التي كانت عليها علوة حتى بداية القرن الرابع عشر كانت تدل على التماسك والإستقرار السياسي ولكن بالرغم من ذلك يبدو أن الأحداث في المنطقة الإقليمية لعلوة كان لها صداها وتأثيراتها العميقة خاصة في أقاليمها المواجهة لمنطقة الأحداث، في الولاية الشمالية في الأبواب والولاية الشرقية في الدُجن.

وبعد انهيار مملكة المقرة تحت ضربات المماليك، استفادت مملكة الأبواب من موقعها الإستراتيجي كخط دفاع أول لعلوة وتزايد أهميتها بالإضافة إلى سيطرتها على طرق التجارة التي تحولت إلى الطرق الصحراوية العابرة للمنطقة مثل طريق أبوحمد كرسكو وأبوحمد سواكن، بالإضافة لمناجم التعدين في الصحراء المتاخمة وبذلك أصبحت منطقة إزدهار واضح في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي.(١٣)

وفي الجانب الآخر، يبدو ولظروف مشابهة حدث في الإقليم الشرقي لعلوة إزدهار مماثل نتيجة لتطور الأحداث في مناطق البجة الجنوبية وظهور سواكن كميناء رئيس بعد تدهور عيذاب. وتحول الطرق التجارية إلى الداخل عبر مناطق القاش.

وهذا الإزدهار في الإقليمين الشمالي والشرقي أدى إلى الصراع بينهما. ونستشف بوادر هذا الصراع من رسالة من ملك الأبواب إلى السلطان المملوكي (في ١٢٩٠ او ١٢٩٣م) يفيد فيها أن "جهة الأنج تغلب عليها ملك غير ملكها وانه مُتَحّيل في أخذها منه"(١٤). ويدلنا هذا النشاط لملك الأبواب على بوادر للصراع بين الإقيلمين، وعلى إهتمامه بمنطقة الأنج وبالأحداث الداخلية فيها ربما بإيعاز من الملك في سوبة.

وعليه فمن المحتمل أن يشير هذا الحدث في جهة الأنج و(القاش) والإنقلاب الذي تم فيها بتغلب ملك غير ملكها إلى ظهور كيان ما أصبح يُعرف بإسم العنج وتكوين دولة لهم في الخاصرة الشرقية للأبواب. وبسيطرتهم على ميناء سواكن وعلى الطرق التجارية المؤدية إليها وتحويل طرق التجارة ومصباتها بعيداً عن ملك الأبواب. بالإضافة إلى الثراء الذي حصل عليه العنج وتحويله إلى قوة حربية تتكون من الفرسان المسلحين جيداً والمدرعين استطاعوا عن طريقها إخضاع منطقة البجة الجنوبية والهيمنة على الميناء في سواكن.(١٥)

وهذا الإزدهار الذي شهده الإقليمان الهامان لمملكة علوة في الأبواب والدجن وتضارب مصالحهما جعل من المحتم وقوع الصراع بينهما بسبب المنافسة. وقد يكون هذا الصراع بين هذين الإقليمين الهامين قد أدى إلى التأثير على المركز في سوبة وإضعافه. والصورة التي نستشفها للوضع في هذين الإقليمين في بداية القرن الرابع عشر هو عند قيام حملة مملوكية لمطاردة العربان وصلت إلى منطقة القاش في ١٣١٧م، حيث واجهتها قوات العنج (الهلنكة) واجبرتها على مغادرة المنطقة بعد معارك شرسة.[١٦]

ولكن نفس هذه الحملة واصلت سيرها إلى جهة الأبواب وكانت في حالة مزرية وضُعف بائن إلا أن "ملك الأبواب خاف و لم يأتِ للعسكر، ونهب العسكر ما وجدوه بتلك الجهة من الذرة". وهنا نجد أن ملك الأبواب الذي كان يقود الجيوش لمطاردة الملوك الفارين ويحاول أن ينتزع المُلك في منطقة الأنج، يصل به الضُعف بحيث لا يستطيع الدفاع عن منطقته من نهب العسكر المملوكي المنهك. وفي المقابل نرى روح التصدي التي قابل بها "العنج" نفس الحملة في منطقة القاش.

ظهور النعرة التوسعية للعنج والصراع بين الإقليمين الدُجن والأبواب ويبدو أن قد تم حسمه في النهاية لصالح العنج الذين إستطاعوا إخضاع الأبواب لسيطرتهم والهيمنة عليها. والمصادر المتاحة لا تدلنا على الزمن الذي تمت فيه هذه السيطرة. ولكن لا يستبعد أن يكون ذلك تم في فترة غير بعيدة من عام ١٣١٧م الذي ظهرت فيه شراسة العنج في التصدي للقوة المملوكية في مقابل الضعف والعجز الذي ابداه ملك الأبواب.

ويفيدنا مخطوط النبر أن جِدهم الشيخ شرف الدين وصل إلى منطقة الأبواب (التكاكي) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قادماً من أسوان "وكان قدومه في زمن العنج"[١٧] وإذا كان ملك الأبواب موجوداً في العام ١٣١٧م

والعنج مازالوا في منطقة القاش. وأن الشيخ شرف الدين جاء بعد ١٣٥٠م فإن سيطرة العنج تكون قد حدثت ما بين ١٣١٧م و ١٣٥٠م.

وباستيلاء العنج على الأبواب التي كانت تمثل الخط الأول لحماية المناطق الداخلية لعلوة من الشمال، إنفتح الطريق أمامهم حيث واصلوا توسعهم جنوباً. وهناك ما يشير إلى أن فرعا من العنج في زحفهم على سوبة اتخذوا طريقاً عبر البطانة حيث سيطروا على منطقة نهر عطبرة، واجزاء من البطانة. [١٨] ومن هناك يبدو أن فرسانهم كانوا يتجهون نحو سوبة العاصمة.

ووصول العنج إلى سوبة العاصمة تدلنا عليه الجملة المفتاحية الواضحة التي أوردها كاتب الشونة باختصار شديد في قوله بعد ذكره لعمارة دونقس "وكان العنج قبله تغلبوا على النوبة وجعلوا مدينة سوبة مركز سلطنتهم... وكان تغلبهم عليها في القرن التاسع الهجري" [١٩] الخامس عشر الميلادي.

وهذا يدلنا على أنه خلال أواخر القرن الرابع عشر أن قوة جديدة كانت موجودة أصلاً داخل إطار مملكة علوة في إقليمها الشرقي ظهرت تحت مسمى العنج إستطاعت، أن تصل في توسعها وهيمنتها إلى فرض سيطرتها على المناطق الشرقية والشمالية لعلوة وتغلبهم على مملكة الأبواب ومن ثم التغلب على سوبة العاصمة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي).

ولكن من الواضح أن هذا التوسع للعنج قد توقف عند سوبة والأقاليم الشمالية لعلوة و لم يكن شاملاً لأقاليم علوة كلها وخاصة أقاليمها الجنوبية.

وتفيدنا المخطوطات الوطنية والتراث الشفاهي والملاحظات التي تم تدوينها في المصادر الأخرى، أن إنتشار العنج والأقاليم التي سيطروا عليها تنحصر في مملكة الدُجن ومملكة الأبواب وجزء من كردفان الجزء الشمالي من النيل الأبيض وكذلك جزء من الجزيرة والجزء الشمالي من النيل الأزرق وشمال البطانة. ويمكننا تتبع الأماكن التي يسود فيها تراث عن حكم العنج أن نرسم

خارطة للأماكن التي خضعت لحكم العنج "وهي تقريباً الاماكن والأقاليم التي أسندت إدارتها في عهد الفونج لمشيخة قري"[٢٠].

وبالرغم من الإهمال من قبل المؤرخين للإشارات الكثيرة لفترة حكم العنج التي تصادفهم في المخطوطات الوطنية وفي التراث الشفاهي، فأن فترة العنج كما يبدو من التواتر في الروايات الشفاهية والمخطوطات الوطنية، أنها كانت فترة هامة جداً في أواخر عهد علوة[٢١]. وقد كانت فترة العنج بالنسبة للمعرفة الشعبية من الأهمية بحيث أنها غطت على ذكر الفترات التاريخية السابقة لها، وأصبحت في الموروث الثقافي الشعبي هي الفترة الأكثر أهمية والتي نسبت إليها أغلب الآثار والإنجازات التاريخية وبذلك اختلطت معطيات هذه الفترة مع ما سبقها من فترات تاريخية. وأصبحت في التواريخ السودانية الوطنية هي فترة التحولات الفاصلة بين عهد التاريخ القديم حتى الفترة المسيحية وظهور فصل جديد في التاريخ هو عهد مملكة سنار الإسلامية وهذه الفترة التي أمتدت من أواخر القرن الرابع عشر (تقريباً) ،إلى نهاية القرن الخامس عشر، بالرغم من أنها اعتبرت فترة غامضة أو مظلمة أو شحيحة المصادر من قبل المؤرخين، إلا أنها خلَّفت الكثير من البصمات على مجمل التاريخ اللاحق لعلوة خاصة الجزء الشمالي والأوسط لتلك المملكة.[٢٢]

والعنج الذين جاءوا من منطقة البجة في الشرق (حسب تقديرنا) كانوا يحملون ثقافة مغايرة للثقافة النوبية التى عرفت في المنطقة النيلية والوسطى. ويحملون تراثاً مختلفاً في أنظمة الحكم ومؤسساته. ولذلك أحدثوا نمطاً إدارياً جديداً لم يكن معروفاً في المنطقة النوبية من قبل. وهو النظام القديم المعروف في بعض أجزاء منطقة البجة عند الحدارب وقد ذكره ابن سليم (ت ٩٦٦م: ٢٣) وهو نظام شبه إقطاعي يعتمد على إدارة السكان وتقسيمهم إلى حصص و بدنات وعشائر. ولذلك أعاد العنج تشكيل سكان المنطقة التي حكموها

في شكل مجموعات عشائرية حتى يتمكنوا من السيطرة عليها على نمط موروثاتهم الإدارية التي تعتمد على إدارة الموارد البشرية وليس على الموارد الطبيعية من أرض ووسائل إنتاج أخرى. ولذلك نجد الظاهرة التي حدثت للتكوينات الإدارية في المنطقة التي حكمها العنج فبدلاً من التقسيم الجغرافي السابق لأقاليم الأبواب، وبلاق، وسوبا وغيرها من الأسماء الجغرافية ظهرت هذه المناطق بأسماء جديدة مستندة على تقسيم سكانها و عشائرها مثل المناصير، الرباطاب، الميرفاب، الجعليين الجموعيةوإحتفظت هذه الكيانات بالمقطع البجاوي (آب) في فروعها المختلفة(٢٤) دليلاً على تأثير العنج عليها. وكذلك وجود تيار من اللغة البجاوية في لهجات هذه المناطق وبعض أنماط السلوك الأُخرى.(٢٥)

وكما يظهر من الحفريات غياب دور العنج الديني والايدلوجي في رعاية الكنيسة وتنظيم شئونها الذي أثر على كنائس وكتدرائيات سوبة التى كانت تعتمد على رعاية الدولة وعلى سلطة دينية أعلى في شكل كنيسة رئيسة على رأسها كبير بطارقة له الحق والسلطة في تكريس القساوسة والرهبان للكنائس الأدنى. وربما كانت كتدرائيات سوبة تقوم بهذا الدور. ولكنها حسب افادات ومعطيات حفريات الأثريين توقفت عن أداء دورها في القرن الرابع عشر. بل أن بعضها أُستعمل كمساكن عادية مما حدى بالمنقبين للتساؤل عن ما حدث لهذه الكنائس، وهل يعني ذلك أحداثاً عمت سوبة او تغييراً في الايدلوجية جاء به عنصر من الغزاة إحتلوا المدينة؟(٢٦)

يبدو أن حكم العنج ذا الطبيعة غير المركزية قد أثر أيضاً في الدور الذي كانت تقوم به سوبة كعاصمة للدولة وتمثل محوراً إدارياً تدور حوله الأقاليم التابعة لعلوة. وقد شهدت سوبة الكثير من التضعضع في القرن الرابع عشر كما دلت على ذلك الحفريات الحديثة. وهناك احتمال بأن سوبة نفسها قد

هجرت أو أُخليت و لم تعد مركزاً للحكم، حيث لم يعد لها دور في نظام الحكم الجديد الذي أحدثه العنج في المنطقة الوسطى من السودان والأجزاء الشمالية والشرقية من علوة. ويوصف حكم العنج في تراث سكان المنطقة التي وقعت تحت سيطرتهم بأنه كان فترة ظلم وتَعدي وجبروت وقسوة من مجموعة مسيطرة ذات نظام ثقافي واجتماعي وايدلوجي مغاير لنظامها النوبي الموروث.(٢٧)

وهذا الظلم والجبروت أدى في نهاية المطاف إلى ظهور مقاومة لها تحت قيادة جديدة إستطاعت أن تجد لنفسها من التنظيم والقوة ما تتحدى به سيطرة العنج وقوتهم.

وتشير الروايات الشفاهية والمخطوطات الوطنية إلى معارك دارت بين العنج وهذه القوات الجديدة التي أطلق عليها اسم الجَعَل، دارت كلها إلى الشمال من سوبة في مناطق المناصير والرباطاب والميرفاب والجعليين.(٢٨) وهذه الروايات نجدها متشابهة في أن نهاية العنج كانت على يد قيادة جديدة تمكنت بالقوة المسلحة طرد العنج من منطقة النيل الأوسط (منطقة الأبواب) ومن أطراف علوة الشمالية والتي إحتلوها في أواخر القرن الرابع عشر وحكموها لمدة تزيد عن القرن. وأن هؤلاء العنج عادوا كما بدأوا إلى موطنهم الأول بعيداً عن "ممر النيل إلى الفَيافي والقِفار" وبصورة أكثر تحديداً إلى "جهة العنج من شواطئ البحر الأحمر وبلاد التاكا وكسلا".(٢٩)

ومن ناحية أخرى، لا نجد في هذه الروايات والمخطوطات إشارة واضحة لتاريخ هذه الأحداث. ولكن كلها تشير إلى أن القضاء على سيطرة العنج تم قبل ظهور الفونج في الساحة. وفي رواية مخطوط النبر المختصرة عن أسلافه تقول عن نهاية العنج في منطقة الأبواب "أتت عليهم قبيلة جعل المذكورة وتغلبوا على مُلك العنج بالظفر .. وطردوهم من تلك الديار حتى أسكنوهم

(بدلاً عن) محل البحر الفيافي الواسعة والغفار .. ثم سكنوا ما شاء الله وأتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد. وأذعنت لهم القبائل بالطاعة. وصارت جَعَل عندهم من جُملة الرعية ولكن لهم المزية على غيرهم فولوهم فيما هم فيه من البلاد"[٣٠] ويجد أمر استيلاء الجعل على السلطة سنداً قويا من روبيني الذي وصل إلى منطقة التكاكي (الأبواب) في ١٥٢٣م ووجد في المنطقة التي وصلها بعد عشرة أيام من سفره من سوبة "مملكة الجَعَل والتي تتبع لمملكة سوبة وهي تحت حكم عمارة ...ثم سافر بعدها حتى وصل إلى جبل التكاكي".[٣١]
والجعل المذكورين هنا يشار اليهم في التراث الشفاهي بأنهم ينتمون الى النوبة، ويرجع كثير من الأسر الحاكمة في المناطق النيلية في أصولهم إلى هؤلاء الجعل ورواياتهم المتناقلة عند الرباطاب و المناصير والشايقية والحكماب في أرقو تشير الى أنهم من أصول نوبية. وهناك أسر وجيوب من السكان حتى الأن يسمون "الجعل" وأشهر هؤلاء جَعَل منطقة المناصير، الذين مازالت لديهم ذكرى حية عن الملك " أحمد شاويش الملقب بالسوكري أحد ملوك المناصير في عهد الفونج. ويعد أشهر من حكم ديار المناصير... والملك أحمد السوكري من الجعل وهم فرع من النوبة وكان يقيم في جزيرة دولقا وهي محصنة ومحاطة بالماء" وتقول احدى الروايات أن الجعل شايقية من الكدنقاب - السواكرة فرع من النوبة ... ويقال أن السواكرة رقيق النوبة.[٣٢]
ومازالت في روايات الجعليين والرباطاب ذكرى مطارق جعل السبعة التي ترجع لهم المجموعة في الأمور المهمة. وكذلك إطلاق صفة المجموعة الجعلية على سكان المناطق النيلية إلى الشمال من سوبا وحتى مناطق الشايقية.
ما حاولنا إثباته حتى الآن هو أن الأقاليم التي كانت تشكل الجزء الشمالي والشرقي من علوة هي التي سيطر عليها العنج. وهي الأقاليم التي أصبح يطلق عليها في التراث الشفاهي منطقة السافل والممتدة من شمال سنار حتى

منحنى النيل عند أبو حمد (منطقة الأبواب) وكذلك نرجح أن العنج لم يكونوا يسيطرون على الأقاليم الجنوبية لعلوة.

ومن المعروف أن علوة في قمة إزدهارها كانت تمتد في مساحة واسعة من المنطقة الوسطى في السودان. فبالإضافة إلى الاقليمين الشمالي والشرقي التي سيطر عليها العنج كانت علوة تضم اقليم كردفان ودارفور حتى حدود المنطقة مابين تشاد الحالية ودارفور، وتضم روافد النيل الأبيض وغربه والجزيرة وجنوب النيل الأزرق، ومناطق الدندر والرهد، ومنطقة البطانة، واقليم طبلي الذي قد يكون منطقة فازوغلي.[٣٣]

بالرغم من ان المصادر الشحيحة لا تشير الى ماحدث في الجزء الجنوبي الواسع من مملكة علوة بعد سيطرة العنج على الجزء الشمالي للمملكة. وخراب أو إخلاء سوبا الذي تم في القرن الرابع عشر/ الخامس عشر، يبقى السؤال اين ذهب ملوك سوبة بعد أن تغلب عليهم العنج؟.

هناك من الدلائل على ما حدث يمكن استنباطها من المقارنة بالممالك السودانية (الكوشية) السابقة أو من مملكة سنار اللاحقة. فالاحتمال الكبير بأن الأسرة الحاكمة في سوبة لجأت للتقليد القديم لنظام العاصمة المتجولة والتي أشار إليه (تورك) "بأن مملكة كوش كان لها أكثر من عاصمة، وأن مدنا مثل نبتا، الكوة، بِنوبس (كانت عواصم) وكان الملك الكوشي لا يقيم في مدينة واحدة ولذلك فإن عاصمة كوش كانت عاصمة متجولة"[٣٤] ولذلك هناك احتمال كبير بأن بلاط الملك والحاشية أصبح بلاطاً متحركاً في الأقاليم المتبقية المختلفة التي مازالت تخضع لملك سوبة. وأن فقدان وإخلاء سوبة لم يكن يمثل بالضرورة نهاية البلاط الملكي والأسرة الحاكمة، التي استمرت بشكل أو آخر في حكم الأقاليم الواسعة الباقية من مملكة علوة. واحتفظوا باللقب "ملوك سوبة" كمرجعية للشرعية والحق في الحكم. وظهور الفونج في

الساحة ووصف روبيني لعمارة لابد أن يلفت نظرنا لهذه النقطة المتمثلة في الاحتفاظ باسم ملوك سوبة ومملكة سوبة وكذلك البلاط المتحرك الذي وجده روبيني الذي. وصف لنا التنظيم الإداري المحكم ووسائل الاتصال بباقي المملكة. ومن الواضح ان ملوك سوبة عندما لجأوا الى هذا النمط من البلاط المتحرك احتفظوا فيه بإسم سوبة. وصار اسم سوبة يطلق على العديد من المناطق الجنوبية ليدل على بعض الأماكن ذات الآثار القديمة التي ربما كانت محطات في وقت سابق.[٣٥]

ومن هنا نرجح أن الجزء الجنوبي من مملكة علوة ظل مستمراً تحت نظام حكم ملوك سوبة وأنه لم يحدث ما حدث في المناطق التي حكمها العنج من تغير في نمط الحكم إلى نمط يقسم السكان الى عشائر وبدنات وفقدت كياناتها الادارية الجغرافية السابقة. ونرجح أن ملوك سوبة في الجنوب احتفظوا بالتقسيمات الجغرافية القديمة والتي ورثها عنهم الفونج. فالوثائق التي أوردت بعض أسماء الأقاليم وحكامها الذين ظهروا في بلاط سنار واغلبهم حكام الأقاليم الجنوبية التي لم تتعرض لتأثير العنج وهي أقاليم بيلة، أليس، القربين البحر، اتبرا كردفان وتغيب عن الوثائق الاقاليم الشمالية التى خضعت للعنج في وقت ما وحملت أسماء المجموعات السكانية، ويمثلها شيخ قري كحاكم أعلى لها.[٣٦]

أشار عدد من الدارسين إلى أن تراث الفونج وخاصة في نمط تقاليد الحكم وتنظيم البلاط تستمد كثيراً من جذورها من أنظمة الحكم في الممالك النوبية السابقة[٣٧] ومن اللافت وصف روبيني لعمارة بأنه ملك اسود. ويطلق عليه بوضوح وبدون لبس وباستمرار لقب ملك سوبة وعلى مملكته إسم مملكة سوبة. وليس من المستبعد أن فرعاً متبقياً من السلالة الحاكمة القديمة استطاع الحكم كأسرة ملكية وأطلق عليهم في وقت ما إسم الاونساب[٣٨]. وفي فترة متأخرة إسم الفونج والذي يعني السادة والحكام.[٣٩]

ولتأكيد ارتباط تراث الفونج بجذوره في الممالك النوبية السابقة يمكننا أن ننظر في طبيعة بلاط مملكة علوة والذي أُحتُفِظَ لنا بلمحة منه في وصف إبن سليم لملك علوة في قوله" وملكهم يسترق من يشاء من رعيته بجرم وغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه، بل يسجدون له، ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم، وينادون الملك يعيش فليكن أمره ويتوج بالذهب"(٤٠). ويورد القزويني "ومن عاداتهم تعظيم الملك، وهو يوهم بأنه لا يأكل، ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديباج وحكمه نافذ في رعيته، ويده مطلقة يسترق من شاء ويتصرف في أموالهم وهم يعتقدون أنه يُحيِّ ويُميت"(٤١) وقد ورد عند ابن الوردي "وملكهم ملك جليل كثير الجنود والحشود"(٤٢) ويصف ابو صالح الأرمني مدينة علوة (سوبة) بأن بها "جيشاً ومملكة عظيمة جداً".(٤٣) وكذلك من أوصاف مدينة سوبة لابد أنه كانت هناك ترتيبات إدارية لهذه المملكة الشاسعة تراعي تنوعها الثقافي والعرقي، فالملك في سوبة بالرغم من مسيحيته لابد أن يراعي حقائق الأديان الأخرى. وهذا يستدعى وجود موظفين لقيادة الجيش وترتيبات مع قساوسة الكنائس وممثلي الأديان الأخرى. وترتيبات وبرتكولات خاصة مع حكام الأقاليم وجمع وتقدير الضرائب وحفظ الأمن وادارة المال مما ادى الى الاستقرار الذي عرفت به مملكة علوة لآماد طويلة.

ونعتقد أن البلاط في سوبة كان لا يقل تعقيدا عن بلاط سنار إن لم يكن يفوقه تعقيدا. ولابد أن مدينة سوبة كانت مجتمعاً منظماً لحاشية تحيط بالبلاط لها بساتينها وكاتدرائيتها ودُورها وخدمها وحشمها الامر الذي يدل على ثراء المدينة كما جاء في أوصافها عند من ذكرناهم من المؤرخين المسلمين والآثاريين الحديثين.(٤٤)

ومن الوصف لبلاط ملك سوبة قد نلمح مشابهات عديدة مع ماوجده روبيني

عند عمارة في لامول وماسجله الرحالة الأخرون عن تقاليد وبرتكولات بلاط الفونج.

وهناك طقوس مقابلة الملك ومنها وجود مفردات مروية مازالت سارية عند الفونج في مخاطبة الملك مثل "قيار مور" أو "قار موره" و "قار مورق" و "قار مُل" ومن المحتمل انها مستمدة من اللفظ المروي القديم "قور" وتعني ملك و"مل" وتعني جيد.[٤٥]

وقد لاحظ الرحالة لسنار ان الممارسات السائدة هي سجود الرعايا للملك عند مقابلتهم له وقد وصف كرمب هذا في مقابلة التجار لشيخ قري حيث سجدوا له.[٤٦]

ومن المتشابهات وضع الملك شبه المقدس[٤٧] وقد رمز له بأنه لا يأكل الطعام وهو في نفس الوقت المنظم لتقسيم الطعام. والأسطورة التي وردت عند بداية أمر الفونج بحضور شخص مبارك من السافل وقسم لهم الطعام أسطورة يبدو انها متوارثة من عهد مروي وربما قبله حيث أن الملوك ضامنين للخصب ووفرة الطعام.[٤٨] ويبدو أن هذا المفهوم اصبح جزءاً من النظام الأيديولوجي للفونج ويظهر ذلك في خروج الملك في مسيرة بحاشيته وتتبعه العديد من الإماء حاملات أواني الطعام ويوضع أمام الملك لتقسيمه على المشاركين في المسيرة مع إظهار أنه يقسم الطعام ولكن لا يأكله.[٤٩]

ومن المتشابهات طقوس تنصيب الملوك الذي جاء عنها "ولما أرادوا الانتقال... عملوا لملكهم عنقريباً من سرطان ولزوجته كذلك، وحملوه حتى نزلوا بهم جبل موية .. ولما صار لهم الملك ..فحين يُملكون ملكاً جديداً يزوجوه من نسل تلك المرأة ويسمونها بنت عين الشمس". [٥٠]

ويدلنا هذا (النص) على المسيرة التي يقوم بها الملك الى حيث مكان التنصيب والتي تحمل صدى مسيرة ملوك كوش عند تنصيبهم والطواف على المعابد

والى جبل البركل المقدس.[٥١] وكذلك نجد التنصيب يتم في مكان عالٍ او جبل الامر الذي عرف عن التنصيب في الممالك الكوشية. وهنا عند الفونج نجد أن مسيرة الملك وطقوسها تقصد جبل مُوية ويبدو انه مكان التنصيب لملوك الفونج الأوائل.[٥٢]

وعملية تزويج الملك الجديد وحبسه في حوش الجندي تشابه رموزها رموز الجرتق التي تحاكي طقوس التنصيب عند المرويين. وقد تم تحديد نقش على احدى لُقيات كنز أماني شخيتو بأنه نقش يمثل طقوس الجرتق الممارس حتى الآن.[٥٣]

ويلفت نظرنا "الإشارة لنسل تلك المرأة ويسمونها بنت عين الشمس" واسم المجموعة بقوم الشمس ولقب عمارة ملك الظل والشمس. وهذه قد تدل على "صدى لتأثيرات مروية حيث الاعتقادات العديدة في الشمس" [٥٤] وروبيني، الذي وجد ملاذا وحماية من الملكة عندما تعرض للإتهام بأنه يهودي ومحتال، يلفت نظرنا الى اهمية الملكة والذي يشير الى موروث من النظام الأمومي في الدولة. وقد تم تفسير ممارسات الزواج والوراثة لدى الفونج من خلال الاطار الواسع للوضع الثقافي والتاريخي المتوارث للمتحدثين باللغة النوبية في اختيار نظام ينحو الى ممارسة نظام اومومي.[٥٥] والنظام الامومي، الذي مكن دولة كوش (نبتا/مروي) ان تحتفظ بأسرة حاكمة (قرابية) قرابة الالف سنة، يبدو ان ذلك ينطبق ايضاً على الاسرة الحاكمة في دولة علوة والتي عندما تضعضعت كانت الاسرة الحاكمة بإرثها الامومي مازالت تحتفظ بالشرعية على الأقل في الجزء الجنوبي من المملكة، الذي لم يسقط بالرغم من اخلاء سوبة العاصمة. وقد ورث عمارة وملوك الفونج هذا النظام عنهم. والاخذ بمبادئ نظام الوراثة عن طريق الام والاحتفاظ برهائن من اولاد الحكام، بالاضافة الى ان القتل الطقسي للملوك يرجع صدى مؤسسات

الماضي البعيد في تاريخ السودان، ويعطي دليلاً على استمرار هذه المؤسسات في فترة الفونج.(٥٦)

وما اورده روبيني عن بلاط عمارة لا يدل على انه كان بلاطاً ناشئاً بل هو بلاط مكتمل بكل طقوسه وحاشيته ويشبه بصورة واضحة بلاط الفونج الذي وصفه الرحالة بعد قرنين من الزمان. والبلاط بصورته المكتملة لا يشي بأنه تدبير جديد يعزي لاول حاكم حسب ما اورده كاتب الشونة بقوله «وعمارة أولهم» وهو ليس كذلك حيث تشير بعض المصادر ان والد عمارة نفسه هو السلطان عدلان.(٥٧) واذا كان والد عمارة هو ايضا سلطان فهذا يدل على ان عمارة ليس الاول، وقد يكون قبل السلطان عدلان آخرون، وخاصة ان الاشارة الى الاونساب « انهم مجموعة من الفونج ترجع اصول فرعهم إلى ماقبل قيام سلطنة سنار والى هذا الفرع كما يقال كان ينتمي كل السلاطين السابقين»(٥٨)

وبلاط عمارة كما يقول روبيني عند زيارته له في عاصمته لامئول «ولديه حاشية كبيرة تتكون من عدد لا يحصى من الموظفين والخدام» ومن بين هؤلاء حكام مدن (أقاليم) المملكة وهناك مقدمون لقيادة الجيوش والحرب وموظفون ومسئولون عن الادارة وشئون القانون، وهناك مراسيل الملك (الذين يبعثهم في المهام الى الأقاليم، هناك فرقة خاصة ليتقدموا الملك في السفر وفي انشاء البلاط وتنظيمه في الحل والترحال. ومن ضمن حاشية البلاط كان هناك أبوكامل (خبير) قافلة الملك وله دور هام في بلاط سنار عندما كانت التجارة الخارجية محتكرة للسلطان. ومثل أبوكامل ايضاً دور «الضرا» اي حامي الغرباء ومساعدهم بالنسبة لروبيني. وهناك المسيرة التي يقوم بها السلطان عادة في أوقات محددة وتتبعه حشود من ارباب الدولة والحاشية والنساء حاملات الطعام– ويعكس صدى من وصف ملك علوة بأنه كثير

الحشود- وهو تقليد إحتفظ به ملوك الفونج اللاحقين ووصفه الرحالة بعد قرنين من زمن عمارة.
واشارة روبيني إلى وجود شخصيات دينية مسلمة في البلاط الملكي عند عمارة لا يدل على وجود جديد الإسلام أو شخصيات اسلامية في المملكة. فالاسلام والمسلمون كان لهم وجود واضح على الدوام في مملكة علوة. فوجود الإسلام يظهر منذ عهد إبن سليم (٩٩٦م) حيث ذكر ان «سوبة بها ربض فيه جماعة من المسلمين» وعن التجار المسلمين يقول اليعقوبي (٨٩٧م) عن سوبة «المسلمون يختلفون اليها» وعن مملكة الدُجن في الشرق التابعة لعلوة يقول إبن حوقل (٩٥٦م) «بأن عليهم ملكٌ مسلمٌ يتكلم بالعربية وفيهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم» وهناك شواهد اخرى على وجود الاسلام في مملكة علوة منذ وقت مبكر.[٥٩]
إشارة روبيني إلى سنار بأنها كانت من الأهمية بأن تكون محل خزانة المملكة، وعليها موظف قد يكون بمثابة نائب للملك فيها viceroy وهو المنصب الذي ذكره كرمب بعد قرنين من زيارة روبيني بان هناك موظف في سنار يحمل اللقب نائب الملك viceroy وهو لقب يحمله، بجانب هذا الموظف، شيخ قري الذي وصفه كُرمب بنائب الملك viceroy.[٦٠] وسنار، برغم أُسطورة نشأتها مع عمارة دونقس إلا أنه يبدو انها كانت مدينة قديمة منذ أيام علوة[٦١] ولم يذكر لنا روبيني شيئاً عن الأقاليم التي تحت حكم عمارة غير اشارته المبهمة حول حكام "المدن" في حاشية الملك. الا انه ذكر لنا في طريقه مغادراً للامئول مناطق نفوذ عمارة على النيل الازرق ومدينة سنار، وعلى النيل مملكة الجعل ثم دنقلا ونهاية المملكة في الخبير ومن الواضح أن نفوذ عمارة كان تاماً في هذه المناطق. وكان في إمكانه ان يصدر أوامره من مركزه في لامئول عن طريق مراسليه ويطاع على طول نهر النيل حتى الخبير في نهاية المملكة.

والأمر الآخر الذي نستشفه من رحلة روبيني أن هذه الأماكن كانت أمنة ومستقرة، بدليل قول الشيخ المصري لروبيني "ان الطريق الذي جئت عبره من لامئول طريق آمن"[٦٢] بعكس الأماكن إلى الشمال التي لا تخضع لحكم عمارة.

الخلاصة:

الدراسات التي تناولت نشأة الفونج ركزت على أن هذه الفترة مصادرها قليلة ومشوشة وأن العهد الذي سبقها في علوة المسيحية كان اشد غموضا[٦٣] وبالاعتماد على المخطوطات التي أُلفت في اواخر عهد الفونج في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وأهمها مخطوطة كاتب الشونة وطبقات ود ضيف الله بالاضافة الى التواريخ والموروثات الشفاهية، وانطباعات العدد القليل من الرحالة الذين زاروا سنار مع بعض كتابات الأنثروبولوجيين والاداريين البريطانيين، جاءت هذه الدراسات مركزة على غموض فترة الفونج وأبرزت الكثير من أساطير النشأة، وتم عكس صورة بدائية لنشأة السلطنة وكأنها نبتت من فراغ في واحدة من أكثر مناطق السودان تخلفاً وبدائية. ودار جدل عقيم لم ينته عن أصل الفونج[٦٤].

وأخيراً تم الاتفاق بين هؤلاء المؤرخين على قيام حلف بين عمارة دونقس و عبدالله جماع – وهو حلف تشكل بين كيان غير محدد حمل اسم الفونج وقبائل عربية باسم العبدلاب قام بالقضاء على مملكة سوبة وإنشاء دولة إسلام جديدة في محلها.

وهذه الصورة الغامضة السالبة تدحضها تقارير روبيني الذي زار عمارة وعاش معه فترة عشرة اشهر في مملكته والتي سماها لنا باسم مملكة سوبة. وكشاهد عيان وصف لنا عمارة بأنه ملك له عاصمة وبلاط تحيط به حاشية فيها العديد من قواد الجيش وحكام المدن (الاقاليم) وضباط وموظفين للإدارة

ومراسيل وبرتكولات. وهو بلاط لا يبدو أنه ناشئ من فراغ وإنما يستند على ارث في الحكم وادارة الدولة قد تمتد جذوره الى أنظمة الدولة السودانية في عصور سالفة ممتدة لألاف السنين والتي كانت مظاهرها واضحة في دولة علوة التي ورثها عمارة. وكان بلاط عمارة، كما يظهر من وصف روبيني له بلاطاً متكاملاً لدولة مستقرة ممتدة. وإن الملك عمارة يستطيع أن يبرهن على سيطرته ونفوذه بارسال مراسيله من عاصمته لامئول في أقصى جنوب النيل الازرق. وتطاع أوامره وتنفذ تعليماته في سنار ومملكة الجعل ودنقلا وفي الخبير في أقصى حدود المملكة في الشمال. وهذا لا يدل على نظام بدائي او مملكة ناشئة من فراغ. وإنما مملكة تقوم على إرث في الحكم والإدارة يمتد عبر تاريخ طويل.

والمصدر الثاني الذي اعتمد عليه جملة المؤرخين في النظر في بداية أمر الفونج هو كاتب الشونة. ولكن جل هؤلاء لم يتوقفوا كثيراً عند الجملة الإفتتاحية التي جاءت عند كاتب الشونة والتي ذكرت عهد العنج قبل ظهور الفونج والجملة تقول "ذكروا في التآريخ التي رأيتها أن اول من ملك من ملوك الفونج الملك عمارة دونقس سنة ٩١٠هـ ... وكان العنج قبله تغلبوا على النوبة وجعلوا مدينة سوبة مركز سلطنتهم .. وكان تغلبهم عليها في القرن التاسع"[٦٥].

وإشارة كاتب الشونة لتغلب العنج على سوبة في القرن الخامس عشر ورواية روبيني بعد قرن كامل من الزمان عن عمارة ملك سوبة، دعتنا الى مراجعة ما حدث خلال هذا القرن في كيان دولة علوة وعاصمتها سوبة وقد قادنا البحث الى ان القرن الاخير من عهد علوة وبالتحديد اوآخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر حدثت فيه تطورات سياسية وثقافية في الإقليمين الشمالي والشرقي وربما في اقليم (أمقل) في أقصى الغرب[٦٦]

وقد تابعنا الاحداث في الاقليم الشرقي ولاحظنا ظهور قوة جديدة باسم

العنج قامت بالتحرك في اواخر القرن الرابع عشر من أرض القاش والتاكا. واستطاعت لأكثر من قرن من الزمان السيطرة على مملكة الابواب والأجزاء الشمالية من علوة وخلفت بصمتها الواضحة على ثقافة وحضارة هذه المنطقة.

وفي نهاية الأمر تم طرد هؤلاء العنج بواسطة قوة جديدة ظهرت باسم الجَعَل - وهم عنصر نوبي في الغالب - فعادوا من جديد الى موطنهم الاول في ارض التاكا والقاش حيث خاضوا معركتهم الاخيرة مع ملوك الابواب الجدد وانهزموا فيها واختفى اسم العنج في المنطقة إلا من إشارات في تراث البجة.

وبتتبعنا لتركيز روبيني على ان عمارة ملك سوبة رأينا أن تأثير العنج على كيان مملكة علوة لم يتعد الأقاليم الشرقية والشمالية والتي كان يطلق عليها "ممالك" تابعة لعلوة. وان الجزء الأوسط والجنوبي ظل صامداً تحت ملوك علوة في حدودها المنكمشة بعد ان فقدوا الأقاليم الثلاثة الرئيسة في الأبواب والدجن وأمقل (الإقليم الغربي).

ويبدو أن حكام سوبة المنسحبين جنوباً كانوا على إتصال وعِلم بالأحداث التي تجري في هذا الاقليم الشمالي وظهور قيادة جديدة للجَعَل حاربت العنج وانتصرت عليهم. ثم تشكلت في كيانات صغيرة غير متماسكة.وهذه الاحداث والوضع الذي نتج عنها قد حفز ملوك سوبة وتحت قيادة جديدة البدء في التوسع من جديد لإستعادة مناطق نفوذها القديمة ربما تدريجياً واستطاعت ان تمد نفوذها وتخضع كيانات الجعل المتفرقة في اقليم الابواب الذي عاد الي المملكة الام في سوبة. وقد أوكل أمر إدارة المناطق التي كانت تحت سيطرة العنج الى هؤلاء الجَعَل لادارتها كما يقول النبر عن الجعل الذين "ولاهم الفونج بالتقديمة على ما كان بأيدي العنج من البلاد"(٦٧).

وبخضوع المناطق الشمالية مجدداً لسوبة في عهد الملك عمارة بدأ فصل جديد

إستوعب كل نتائج التحولات في أواخر عهد علوة لتبدأ مرحلة جديدة من الإزدهار في أوائل القرن السادس عشر. والأمر الهام في رواية روبيني أن مملكة سوبة المسيحية قد صارت في عهد عمارة تحت حُكم ملك مسلم ويبدو ذلك من مخاطبته لروبيني "يا مولاي سليل نبينا"[٦٨].

ونستشف من إدعاء روبيني أنه رجل دين شريف مُسلم، أن بلاط عمارة لم يكن يضم رجال دين مؤهلين للكشف عن زيف روبيني والذي تم بسرعة عند ظهور رجل دين مسلم حقيقي قادماً من مكة.ولكن بالرغم من كشفه فإن عمارة قبل نُكرانه ووجد حماية من الملكة مما يدل على عدم وجود تعصب ديني في المملكة. وهناك رواية (نعوم شقير) عن الإمام السمرقندي الذي عمل مستشاراً للملك عمارة وألف له كتاباً في الأنساب.[٦٩] هذه الشخصيات الثلاثة قد تدلنا على نوع الشخصيات الاسلامية التي جذبتها السلطنة وأولهم مغامر يهودي زيّف هويته كشريف مسلم واخر شريف من مكة حاول أن يستغل السلطان عمارة بكتاب يدعى أنه أتى به من مكة، وربما رحالة من العالم الإسلامي من سمرقند جاء مقدما خدماته الإستشارية للمملكة الإسلامية الأحدث. وقد تكون هذه النوعيات وغيرها قد جاءت عن طريق التجارة المزدهرة.وقد اشار روبيني لسبب زيارة عمارة بأنه "قد سمعت بروعة وعظمة مملكتك"– وقد يكون صادقاً في تعبيره.

ورواية نعوم شقير بأن الإمام السمرقندي أشار على عمارة بأن يبعث للسلطان سليم برسالة يُنبِئه فيها بأنهم كمملكة وسكان يدينون بالإسلام وأنهم ينحدرون من قبائل عربية صميمة. وتعزيزا لهذه الدعوة بعث له بأنساب قبائل العرب التي تقطن السودان "والتي أعدها له السمرقندي نفسه".

وأهمية إستشارة السمرقندي وما قام به عمارة قد يكون هو الاعلان الأول من دولة الفونج للعالم الإسلامي بأنّها اصبحت دولة إسلامية سكانها عرب وبهذا

أصبحت الكيفية التي مارست بها معاملاتها مع العالم الخارجي وسفرائه وممثليه وتجاره تأخذ طابع الدولة الإسلامية في هويتها وسماتها الأيدولوجية. وعلى المستوى السطحي ليس من المنطق المعارضة للنظرة والتقييم الكامل لسنار الذي قدمه المعاصرون في الأراضي المجاورة، ففي اثيوبيا في ١٥١٠م نجد الوصف "مسلمي النوبة السود" وفي مصر ١٦٦٠م "يحكمهم ملك النوبة المسلمين."(٧٠) "كأوصاف للمملكة في ثوبها الجديد.
والملك عمارة الذي قابله روبيني لم يكن فعلاً أول سلاطين الفونج كما تشير إلى ذلك بعض المصادر فعلى الأقل كان هناك والده السلطان عدلان وقد يكون قبل عدلان سلاطين أخرون من ملوك سوبة كما جاء عن فرع الأونساب.
ولكن ما جاء في تراث الفونج عن أن السلطان عمارة هو أول ملوك الفونج قد نجد لها تفسيراً في الدور الذي قام به عمارة. فقد تم في عهده نهاية تلك الحالة من التيه الديني في المسيحية أولاً كما جاء عند الفارز لوصفه للمملكة "بأنهم فقدوا كل مسيحيتهم" ... وأصبحوا " ليسوا بمسيحين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤملوا في أن يظلوا مسيحيين"(٧١) وفي الجانب الآخر، هناك رواية كاتب الشونة بقوله "ولم يكن وقتها مدارس علم للمسلمين المقيمين معهم ولاتمسك بالشريعة المحمدية حتى قدم عليهم محمود العركي من مصر وعلمهم بعض اركان الشريعة"(٧٢) وقد حُسمت في عهد عمارة هذه الحالة من التيه بين المسيحية والإسلام بإعلانه لهوية المملكة الإسلامية والعربية وفي عهده تم توسعة المملكة وتوحيدها بإعادة السيطرة على اقاليمها المفقودة. ولهذ نُسجت حول فترة حكمه وشخصه الأساطير المعروفة في الفلكلور "بأساطير النشأة" وأصبح عمارة في تراث الفونج هو الزعيم المؤسس للمملكة وهو البطل الثقافي. فهو حفيد الغريب الحكيم (المسلم- العربي)(٧٣) من نسل إمرأة لملك قديم (أفريقي) وهو المُلقب بملك الشمس والظل وهو أول من خط

مَدينة سِنار عاصمة المملكة –وهو أول من عمل النحاس رمز السلطة للفونج، وهوالذي وحّد المملكة من جديد، وهو الذي حدد هوية الدولة باعتماد الإسلام والعروبة كأيدلوجية للدولة ومحدداً لهويتها. وهو ما ترتب عليه نقلة ثقافية كبيرة من دولة شعارها المسيحية إلى دولة إسلامية في مواجهة محيطها الخارجي عن طريق القوافل التجارية المنتظمة من الشرق والشمال والتي جلبت معها بالإضافة للبضائع انماطاً من البشر وثقافاتهم المتنوعة.

ويبدو أن عمارة الذي ما زال عند روبيني هو ملك سوبة كان عهده بداية لنهضة نوبية في وادي النيل بلغت أوجها في زمن خلفاء عمارة في القرن الواقع بين ١٦٥٠م و١٧٥٠م حيث حكم سلاطين النوبة المسلمين قلب بلاد النوبة التي عرفتها العصور الوسطى من دنقلا إلى حدود إثيوبيا ومن البحر الأحمر إلى كردفان[٧٤]

المصادر والمراجع

1. Hillelson S, 1933: ''David Reubeni, an early visitor to Sennar; Sudan Notes and Records, Vol. XVI P.55.
2. Bruce, James, 1804: Travels to discover the sources of the Nile in the years 1768- 1771, Vol VII, Edinburgh P.90 and P.106.
3. Chataway, J.D.P, 1930, '' Notes on the History of the Funj'' S.N.R Vol XIII Part II.
4. Spaulding, Jay '' The Funj, a Reconsideration Journal of African History, XIII, III, I PP 3953-,

٥. يوسف فضل حسن، ١٩٨٩: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١، جامعة الخرطوم – الخرطوم

Holt P.M، 1960: " The Funj Conquest of Soba" B.O.A.S، XIII .6

أيضاً الفحل الفكي الطاهر، ١٩٧٦: تاريخ و اصول العرب بالسودان. الخرطوم ص ٢١ و ٢٢.

7. Welsby, D.A and Daniels C.M., 1991: Soba: Archaeological Research at Medieval capital on the Blue Nile, British Institute in Eastern Africa, Monograph series, 12 p.9.
8. Shinnie, P.L, 1961 : Excavations at Soba, Sudan Antiquities Series, Occasional Paper No.5. Khartoum. P.76.

٩. أحمد المعتصم الشيخ، ٢٠١١، مملكة علوة من القرن السادس الي القرن السادس عشر الميلادي، المركز القومي للدراسات الدبلوماسية، الخرطوم.

10. Ahmed Elmotasim Elsheikh, 2009: ''Alwa a Federal State of Medieval Sudan'' Journal of Diplomatic Studies, National Centre for Diplomatic Studies. Khartoum.

١١. ابن حوقل، ت ٩٠٦م :كتاب صورة الأرض، في مصطفي محمد مسعد، ١٩٧٢: المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص و الوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، القاهرة ص ٧٤.
١٢. نفسه، ص ٧٣.
١٣. أحمد المعتصم الشيخ، ١٩٨٩: "مملكة الأبواب المسيحية في العصور الوسطي" مجلة دراسات افريقية، العدد الخامس، المركز الإسلامي الافريقي. الخرطوم.
١٤. النويري ت ١٣٣٢: نهاية الارب في فنون الأدب، ط٢ مسعد ص ٢٣٢.
١٥. محمد عوض محمد، ١٩٥١م : السودان الشمالي: سكانه و قبائلة، القاهرة.
١٦. النويري: ت ١٣٣٢ – المصدر السابق ص ٢٣٤.
١٧. أحمد بن محمد المشهور بالنبر(١٧٥٠م) "كراس النسب" مخطوط، نسخة من المخطوط محفوظ ضمن وثائق العبابسه بدار الوثائق.
18. Crowfoot, J.W, 1920: ''Old Sites in the Butana'', S.N.R Vol III No.2.
١٩. أحمد بن علي كاتب الشونة وأخرون: تاريخ ملوك السودان تحقيق مكي شبيكة، ١٩٤٧ ط ٢ الدار السودانية للكتب – ص٢٣.
٢٠. محمد صالح محي الدين، ١٩٧٢ : مشيخة العبدلاب و أثرها في حياة السودان السياسية، الدار السودانية للكتب الخرطوم ص ١٥٧.
٢١. الفحل الفكي الطاهر: المصدر السابق، ومحمد عوض محمد، المرجع السابق.
٢٢. أحمد المعتصم الشيخ ٢٠١٢، مملكة علوة ص ٩٣-٩٧.

٢٣. ابن سليم الأسواني، ت ٩٦٦ في مسعد ص ١٠٩.

٢٤. عون الشريف قاسم، ١٩٧٤م : دراسات في العامية السودانية، الدار السودانية للكتب الخرطوم ص ص ٢٨-٢٩.

٢٥. نفسه ، و ايضا أحمد المعتصم الشيخ، ٢٠٠٢، مملكة الأبواب المسيحية و زمن العنج، مركز الدراسات السودانية القاهرة.

26. Welsby D.A and Daniels C.M, 1991, op.cit. P.9.

٢٧. أحمد الأمين الشيخ محمد – ١٩٤٧م " مخطوط كتاب إيقاظ الناس لشرف بني العباس، المخطوط مطبوع طبعة محدودة لدي أُسرة العبابسة.

٢٨. أحمد المعتصم الشيخ، ٢٠٠٢، مملكة الأبواب المسيحية و زمن العنج.

٢٩. عبدالله بن الأرباب الحسن بن شاور: " واضح البيان في ملوك العرب بالسودان " مخطوط رقم Misc ١/٢٠/٢٣ دار الوثائق القومية.

٣٠. أحمد بن محمد المشهور بالنبر ١٧٥٠م : المصدر السابق.

31. Hillelson, S, 1935; op.cit. p.153.

٣٢. الطيب محمد الطيب واخرون، ١٩٧١ : التراث الشعبي لقبيلة المناصير. سلسلة دراسات في التراث السوداني (٨)شعبة ابحاث السودان، ص ٨.

٣٣. أحمد المعتصم الشيخ ٢٠١١، مملكة علوة.

٣٤. ورد الاقتباس من (تورك) عند خضر آدم عيسي، ٢٠١٠: السودان القديم تاريخه و ثقافته، دار جامعة الخرطوم للطباعة و النشر ص ١١٤.

,Torok, 1988, The late Antiquities of Nubia, Budapest.Crawford

35. O.G.S. 1951: The Fung Kingdom of Sennar, Cloucester.

٣٦. محمد إبراهيم أبو سليم، ١٩٦٧ : الفونج و الأرض: وثائق تمليك، شعبة أبحاث السودان جامعة الخرطوم ص ص ٣٨- ٤٣.

٣٧. محمد عبدالله عجيمي، ٢٠١٧ : أصل الفونج: تحرير حول الخلاف، سلسلة كتاب سنار عاصمة الثقافة الإسلامية الخرطوم (٩١).

٣٨. جاي سبولدنق، عصر البطولة ص ٤١.

39. James Wendy, 1977: ''The Funj Mystique: Approach to a Problem of Sudan History '' in R.K Jain ed. Text and context: the social Anthroplpgy of tradition Philadelphia

٤٠. ابن سليم الاسواني ت ٩٦٦، المصدر السابق ص ١٣٠.

٤١. القزويني، ت ١٢٨٣ : آثار البلاد واخبار العباد، في مسعد١٩٧٢.

٤٢. ابن الوردي ت ١٤٥٧ : كتاب خريدة العجائب، في مسعد١٩٧٢ ص ٣٧٢.

٤٣. أبو صالح الأرمني، ت ١٢٠٨ : تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني، في مسعد ص ١٣٨.

44. P.L. Shinnie : 1961: Op. Cit p.76.

٤٥. جاي سبولدنق، ١٩٨٥ عصر البطولة ص ٣٤.

46. Krump, Theodor, The Sudanese Travels of Theodor Krump, Trans. By Jay Spaulding, 1979 Hambata . Publications P.49.

47. Poncet, Charles - Jacques in William Foster 1949 ed. The Red Sea at the close of the Seventeenth Century London.

٤٨. سامية بشير دفع الله، ٢٠٠٨ : السودان في كتب اليونان والرومان ، جامعة السودان المفتوحة، ص ٨٩٠.

49. Theodor Krump, op.cit P.41. Poncet, op.cit.

٥٠. أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوط كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية و إلادارة المصرية، تحقيق. الشاطر بصيلي عبد الجليل ١٩٦١ ج.ع.م ص٦٥ ٨.

٥١. عمر حاج الزاكي، ٢٠٠٦ : مملكة مروي التاريخ و الحضارة وحدة تنفيذ السدود الخرطوم.

٥٢. علي عثمان محمد صالح، ٢٠١٣ " اعادة قراءة وصف ابن سليم

الأسواني لبلاد النوبة " المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي. مداولات المؤتمر الجزء الثاني ص ٧٣٨.

٥٣. مصطفي عبدالحميد كاب الرفيق، ٢٠١٣ : الفنون التشكيلية في حضارات السودان القديم، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، ص ١٤١.

٥٤. سامية بشير دفع الله، المرجع السابق ص ٧٢ و عمر حاج الزاكي، ١٩٨٢ « دور النساء الملكيات في المملكة المروية : دول حول النيل الاستمرارية والتغيير، معهد الدراسات الافريقية و الأسيوية، جامعة الخرطوم.

55. Edwards D. N, 1998: ''Meroe and the Sudanic Kingdoms, Journal of African History 39, U.K PP. 175- 193.

٥٦. سامية بشير دفع الله ٢٠٠٨، المرجع السابق.

٥٧. عبدالله محمد الخبير، جامع نسب الجعليين المسمي السُور الحصين البآس. تحقيق عبدالله علي إبراهيم (ب. ت) شعبة الفولكلور، معهد الدراسات الإفريقية و الأسيوية ص ١٤٨، و كذلك مخطوط كاتب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل ص ص ١٣١-١٣٢.

٥٨. جاي سبولدنق ، ١٩٨٥ : عصر البطولة ص٤١.

٥٩. .أحمد المعتصم الشيخ ٢٠١١، مملكة علوة، ص ٥٦.

60. Theodor Krump, op.cit P.38.

٦١. أحمد الياس الحسين، ٢٠١٦، "نشاط منطقة أعالي النيل الأزرق التجاري وممالك المنطقة ومدينة سنار قبل القرن ١٥م." ورقة مقدمة للمؤتمر العالمي الثاني، سنار عاصمة الثقافة الإسلامية الخرطوم.

62. Hillelson, S. 1935, David Reubeni, P.62.

٦٣. مكي شبيكة، ١٩٦٤: السودان عبر القرون، دار الثقافة بيروت ص ٥٨.

٦٤. محمد عمر البشرى، ١٩٨٢، أصل الفونج " مجلة الدراسات السودانية

الخرطوم العدد الاول المجلد السابع ديسمبر ١٩٨٢.

٦٥. كاتب الشونة، تحقيق مكي شبيكة ص ٢٤.

٦٦. ابراهيم اسحاق ابراهيم، ٢٠١٣، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب الي شمال افريقيا وبلاد السودان، ط ٢ هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، ص١٦١.

٦٧. أحمد بن محمد المشهور بالنبر، المصدر السابق.

68. Hillelson, S. 1933, op.cit P.58.

٦٩. نعوم شقير، ١٩٦٧: جغرافية و تاريخ السودان ط.٢ دار الثقافة بيروت ص ٣٨٨.

٧٠. جاي سبولدنق، عصر البطولة : ص ٢٠.

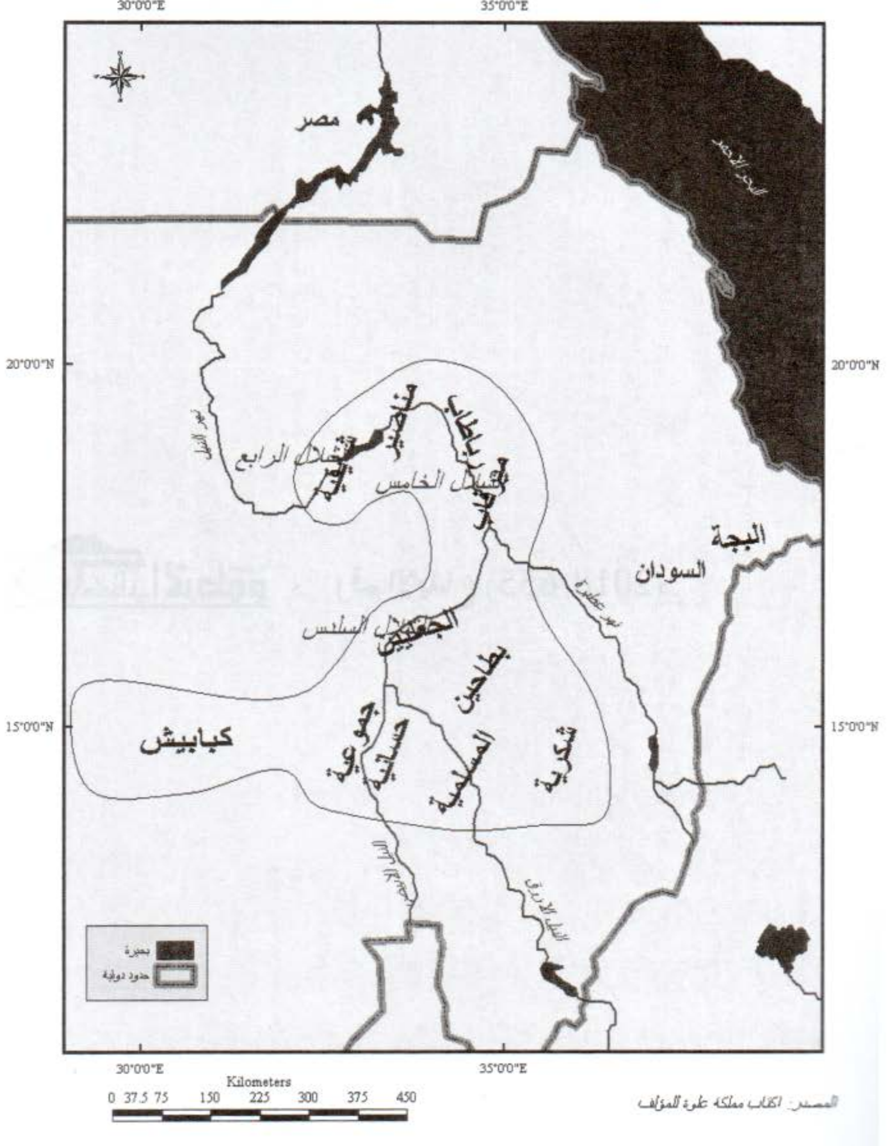
71. Al Varz. F, 1961: The Prister John of the Indies ed. By. Bekingam C. F. and Hunting Ford. S.W.B Hacklyt Society Cambridge.

٧٢. كاتب الشونة، تحقيق مكي شبيكة ص٢٤.

73. Sayyid H. Hurreiz, 1977: ''The Legend Of The Wise Stranger An Index Of Culture Unity In The Centeral Bilad El Sudan'' A Paper Presented To The 3rd International Conference On The Central Bilad El Sudan Tradition And Adaptation, Institute Of African And Asian Studies Of Khartoum.

٧٤. جاي سبولدنق ، ١٩٨٥ : عصر البطولة ص٢٧.

مواضع انتشار التراث عن العنج والمقطع البجاوي



المصدر: الكتاب مملكة علوة للمؤلف

كتاب الخطوة الجديدة

رقم الايداع (2018/655)